-- تابع مسرحية الحسين ثائرا --

زينب : ذهبوا و قد فسد الزمان و لم يعد فى الأرض إلا بعض أشباه الرجال .

سعيد : أجسامهم مثل البغال .

برير : و عقول ربات الجمال .

زينب : سلطان دولتهم يزيد .

برير : ذهب الرجال فيا لعارهم المهين . يا ويلهم يتسكعون ببعض وديان الضلال .

بشر : يُقعون فى ذل الكلاب أمام سيدهم فهو يرمى إليهم بالفتات .

سعيد : ذهبوا يجوبون المسالك كالنساء الضائعات .

الحسين : (حزينا ثم منفجرا)

ما عاد فى هذا الزمان سوى رجال كالمسوخ الشائهات
يمشون فى حلل النعيم و تحتها نتن القبور
يتشامخون على العباد كأنهم ملكوا العباد
و هم إذا لاقوا الأمير تضاءلوا مثل العبيد
صاروا على أمر البلاد فأكثروا فيها الفساد
أعلامهم رفعت على قمم الحياة ..
خِرَق مرقعة ترفرف بالقذارة فى السماء الصافية
راياتهم مزق المحيض البالية
يا أيها العصر الزرىّ لأنت غاشية العصور
قد آل أمر المتقين إلى سلاطين الفجور ..
قل أى أنواع الرجال جعلتهم فى الواجهات ؟
قل أى أعلام رفعت على البروج الشاهقات ؟
أى الذئاب منحته السلطان و الملك العريض ؟
يا أيها العصر البغيض
يا أيها العصر الزرى و أنت غاشية العصور
العصر ينفث حولنا الغثيان مما أحدثته به أمية
عصر يثير تقزز النفس الأبية ..
يا أيها الشرفاء لا تهنوا إذا طغت الذئاب ..
سيروا بنا كى ننقذ الدنيا من الفوضى و من هذا الخراب
سيروا بنا نُعد للعصر رونقه القديم
و ننصر الحق الهضيم
لا ترهبوا طرق الهداية أن خلت من عابريها
لا تأمنوا طرق الفساد و إن تزاحم سالكوها ..
سيروا على اسم الله لا تهنوا فنحن بنو أبيها

سيروا بنا نستخلص الإنسان من عار العذاب

(انتهت مسرحية الحسين ثائرا)
(و تليها مسرحية الحسين شهيدا)

،، الحسين شهيدا ،،

عبد الرحمن الشرقاوى

شخصيات المسرحية
حسب ترتيب الظهور على المسرح

سعيد بن سعيد : من رجال الحسين

الحسين بن على :

بشر : من فتيان الحسين

برير : من شيوخ الكوفة و أتباع الحسين

الحر الرياحى : من قواد جيش الكوفة

زينب : شقيقة الحسين

شمر : من قواد الكوفة

عمر بن سعد : أمير جيش الكوفة

أسد : من شيوخ الحجاز و هو مالك كبير فى الكوفة

حبيب بن مظاهر :
|
زهير بن القين :
|
نافع : رجال من الكوفة من أنصار الحسين
|
ابن عوسجة :

سكينة : **بنت الحسين**

زين العابدين : **ابن الحسين**

زيد بن أرقم : **من شيوخ الكوفة**

يزيد بن معاوية :

جارية يزيد :

زوجة يزيد :

المختار الثقفى : **من أنصار الحسين**

نساء و أطفال – نادبات – رجال حاشية – جنود و قواد و حراس – تجار و عرفاء – فتيان

زمان المسرحية : **سنة 60 هجرية**

المنظر الأخير : **نحو سنة 65 هجرية**

مكان المسرحية : **بادية فى العراق – كربلاء – دمشق – بادية الشام**

المنظر الأول

(بادية بجنوب العراق على مقربة من كربلاء تتناثر فيها التلال .. الحسين و رجاله و فتيانه يتفرقون فى المكان على المرتفعات و المنخفضات .. سعيد يقف على أعلى المرتفعات و هو يتأمل الأفق البعيد تحت الشمس المتوهجة التى تغمر المكان كله) .

سعيد : (على أعلى مرتفع) الله أكبر ..

الحسين : الله أكبر . فيما تكبِّر يا سعيد ؟

سعيد : أوَ ما ترون الكوفة الغراء تظهر من بعيد
حيث الصحاب هناك ينتظرون
فى العُدد المنيفة و العديد ؟ !
أوَ ما ترون من التلاع ذرا النخيل ؟
أو ما ترون وراءها شم المآذن و القباب !

(يذهب بشر إلى مرتفع آخر و يدقق النظر)

بشر : بل إنها سمر الرماح تلوح فى دَرَهَج الخيول
بل إنها قطع الحديد على صدور الدارعين

(صوت خيل تقترب و برير ينظر إلى حيث كان سعيد ينظر)

برير : تالله ما ذاك النخيل و لا القباب و لا الصحاب
بل هذه لو تعلمون هى الأسنة و الحراب
هم لا مراء رجالنا قد أقبلوا يا ابن النبى .

بشر : (و هو ينظر) بل إنها راياتهم .. ما هذه راياتنا ..
هى ذى هوادى الخيل تطلع تحت رايات كأجنحة الطيور

الحسين : (يتأمل) رايات مملكة الفجور
رايات سلطان ذليل يستذل بها الرقاب !

(الحر الرياحى يظهر من الصدر فى عدة حربية كاملة مع بعض رجاله)

الحر : أنا ذا الحر الرياحى أتيت

الحسين : أعلينا أم لنا .. ؟

الحر : بل عليك

سعيد : ما على الأعمى حرج

الحر : لست أعمى يا سعيد بن سعيد

الحسين : إنما تعمى قلوب فى الصدور

برير : كيف لا تبصر نور الحق يا حر و هذا الحق أبلج أم ترى أغريت يا حر كما أغرى من قبل صديقى شيخ مذحج ! ؟

سعيد : أيها الحر الرياحى أتمشى فى ركاب ابن الدعى أنت يا أشجع أهل الكوفة الأحرار يا أحكم من فيها .. تضل ؟ كيف بالله يصير العيش إن كان الفتى الحر يذل ؟ !

الحر : قد سألت الله ألا أبتلى يوماً بأمر للحسين

الحسين : فلماذا عمرك الله أتيت ؟

الحر : جئت كى أقدم للكوفة بك

الحسين : كيف هذا ؟ .. أى مقدم ؟

الحر : (مستمراً و هو يوجه نظراته بعيداً عن الحسين و عنهم جميعاً)

و لكى أحبسكم عن أن تعودوا قبل أن أنتزع البيعة منك

الحسين : فهى الحرب إذن ! ؟

الحر : (لنفسه) أعفنى يا رب من هذا القتال

الحسين : كلكم يعرف أنى جئت كى أنقذكم من ظالميكم
كلكم يعلم أنى جئت كى أهدم أركان الضلال !

الحر : إننى أعرف هذا

الحسين : فلتكن حراً كما سُميت حراً .. أنا ما جئت إلى الكوفة إلا بعد أن كاتبنى مستصرخوكم

الحر : ألديكم ها هنا ماء ؟ فإنا قد جهدنا عطشاً ..

بشر : قسماً بالله لن تشرب منه قطرة واحدة حتى تنادوا للحسين

الحسين : نحن لا نمنع ماء الله عمن يطلبونه

بشر : أصبح الماء قليلاً عندنا

الحسين : كم ترى عدتكم ؟

الحر : نحن ألف يا حسين

الحسين : و رجالى كم تبقى منهم يا بشر .. كم ؟ !

بشر : إننا و الله ألف و لدينا بعض أطفال صغار و نساء و همو للماء أحوج

الحسين : فى غد يا بشر أو فى فجر هذا اليوم نغدو من جديد للفرات . (الحسين هاتفاً) وزعوا الماء عليهم و علينا بالتساوى و غداً يأتى الفرج

(يخرج بشر من اليمين)

الحر : أحسن الله إليك

الحسين : أين أصحابك .. ؟

الحر : خلف التل .. خروا عطشاً .. أحسن الله إليك

الحسين : و هداك الله للحق و وقاك الضلال

الحر : أنا عطشان و قد أجهدنى سيرى فى ذا الوهج

الحسين : أحضروا قربة ماء ها هنا . (مبتسماً) أطفئوا للحُر حره

(أحدهم يحضر قربة ماء فلا يستطيع الحر أن يشرب منها إذ يتصبب الماء على الأرض)

الحر : ما لهذا الماء لا يدخل جوفى ؟

الحسين : اعطف القربة هوناً . (الحسين يساعده و يسقيه) هكذا

الحر : لا عرفتَ العطش الحارق يا سبط الرسول

الحسين : و سقانا الله يوم العطش من ماء النعيم

سعيد : (للحر) أفتدرى يومها من سوف يسقينا على الحوض العظيم ؟ هو و الله الإمام المرتضى .. هو و الله على ..

الحسين : (ينظر إلى السماء) حانت الآن صلاة الظهر . (للحر) قل لى .. أتصلى برجالك ؟

الحر : بل نصلى كلنا خلفك يا سبط النبى

(يدخل بشر من الصدر)

بشر : قد منحنا ماءنا جند العراق

سعيد : (ضاحكاً) شرب الجند جميعاً يا إمام . شربوا الماء ليستقووا علينا فى القتال .. !

الحسين : (هاتفاً) فليؤذن للصلاة

(يرتفع الآذان و الحسين يخرج و وراءه الرجال من جهة اليمين . بشر و سعيد يتوقفان قبل أن يخرجا و يدور الحوار التالى و الآذان يرتفع)

بشر : نحن باقون هنا نحرسكم

سعيد : لك حق و أنا باق معك

الحر : أنا لا أفتك فى وقت صلاة يا سعيد . لم أصل بعد إلى هذا الدرك !

سعيد : أنت قد أصبحت فى جند يزيد . و أبوه و هو خير منه قد جزَّ رؤوساً لرجال صالحين إذ هم فى حضرة الله ركوع ساجدون

الحر : (و هو ينصرف) أترانى أشهر السيف على وجه الحسين ؟ . اعفنى يا رب من هذا البلاء ..

سعيد : (لبشر) أفتدرى يا فتى ؟ إن من بين رجال الحر من بايع من قبل لمسلم ؟ . عجباً يذهل عقلى ! كيف مالوا ليزيد .. ؟ !

بشر : لا تفتش فى قلوب الناس عن هذا .. و فتش فى الخزائن !

سعيد : ربما ترشا القلوب

بشر : كل إنسان بما يطمع فيه مرتهن !

سعيد : اسقنى يا ابنى .. فقد جفف ريقى ما رأيته

بشر : انتهى الماء

سعيد : (صارخاً فى فزع) انتهى الـ .. .. ماذا تقول ؟ !
شربوا الماء جميعاً .. ..
انتهى الماء ؟ ! مصيبة ! !
كيف يا بشر انتهى الماء ؟؟ انتهينا .. ! !
آه يا للداهية !

بشر : بعضهم أهدر فوق الرمل من لهفته
ضعف ما أفرغه فى جوفه
إنهم قد شربوا هم و الخيول !

سعيد : ليتنى كنت حصاناً عندهم .. أو كنت رملة !
أفنسقيهم ليستقووا علينا
و نعانى نحن من نار العطش ؟ !
كيف هذا يا إمام الحق ؟ و الله عجيبة ! !

بشر : فى غد نبلغ شطآن الفرات

سعيد : (مقاطعاً) إيه .. ما أبعد غد

بشر : (حزيناً) قد تولى الناس عنا بالألوف

سعيد : (عصبياً) فليروحوا لجهنم
ما تولى غير أولاد الأفاعى .. غير أولاد الزنا
أفلا ماء هنا ..

بشر : (شارداً) آه لو أن الإمام المرتجى أخفى عليهم قتل مسلم !

سعيد : إنه أفطن للسر الذى يخفى علينا و هو أدنانا لربه
إن أولى بإمام الحق أن يخلص فى النصح لصحبه
هكذا يتبعه الناس على نور يقين و هدى

بشر : هكذا صرنا مئات بعدما كنا ألوفاً . . !
أنا ما قلت أمام الحر كم نحن بحق
إننا سبعمائة !

سعيد : يا أخى ما قيمة الكثرة فى أمر كهذا ؟
الحمير اليوم أضعاف البشر !
و النساء اليوم أضعاف الرجال !
(فجأة) آه .. ما أعظم شوقى للنساء !

بشر : غير أنا يا سعيد بن سعيد ..

سعيد : (يقاطعه) لا تكلمنى لأن الرغى قد جفف ريقى !

(الحسين يدخل و معه الحر .. و برير .. و بعض رجال الحر)

الحسين : (صائحاً) إن رأيتم أننا أولى بهذا الأمر ممن سار بالجور .. قدمنا
فإذا قدمتم الكره لنا و الجهل بالحق انصرفنا

الحر : أنا مأمور بأن أقدمك للكوفة قسراً كى تبايع

الحسين : دون هذا الموت يا حر .. (صائحاً فى رجاله) اركبوا ..

الحر : (معترضاً) إنكم لن تركبوا

الحسين : ثكلتك أمك ما عساك تريد منا ؟

الحر : لو أن غيرك فى مقامك قالها لذكرت بالسوءات أمه
لكنها بنت الرسول فلا سبيل سوى الخشوع لذكرها

الحسين : اسأل رجالك أيها الحر الرياحى
(على مرتفع لرجال الحر) .. انطقوا
يا للرجال .. تكلموا
لم تسكتون و قد بعثتم لى رسائلكم تحملنى ذنوب الصمت عنكم ؟!
أوَ ما بعثتم تصرخون من المظالم ؟
أوَ ما بعثتم تخلعون يزيد شبل معاوية ؟ !
أوَ ما بعثتم تلعنون الطاغية ؟ !
أو لم تقولوا أنكم بايعتمونى بالخلافة كى أشيع العدل فيكم ؟! لم تسكتون ؟!
أوَ لم تقولوا أنكم لا تعرفون سوى ابن فاطمة إماماً ؟
هى ذى رسائلكم محملة بصيحات الأرامل و اليتامى
لم تسكتون ؟ تكلموا .. يا للرجال !
أإذا أتيت أسد أبواب الضلال
شرعتم دونى الرماح ؟
أنا لم أرد إلا الصلاح ..
أنا لم أردها فتنة عشواء بل رمت الهداية و السلاما
أنا ما أتيت هنا لألقى بيننا سيفاً و رمحاً بل كلاما
(أصوات النساء من ناحية اليسار)
وا وحدتاه وغربتاه .
وا ويلتاه لمن تغرب ! وا وحدتاه لمن تكذب !

برير : لعنة الله على من روع النسوة و الصبية من آل الرسول

زينب : (خارجة من اليسار صائحة) لعنة الله على من حمل الرعب لنا

برير : فلتغضوا يا عباد الله من أبصاركم ! !

زينب : (تتقدم) لعنة الله على من روع الأبرار من آل محمد

(رجال الحر يحنون رؤوسهم)

الحر : (فى أزمة) أأنا روعت أبناء رسول الله منى .. ؟
أسأل الله تعالى المغفرة
يا إلهى إننى أطلب منك العافية
(للحسين) .. إننى أطلب منك المعذرة !

زينب : (للحسين) إن كان كذّبك الرجال فلا ملام و لا عتاب
خانوا العهود و تلك شيمتهم .. جزاؤهم بها يوم الحساب
فاذهب بنا لنعيش فى كهف بعيد ..
كالفتية الأبرار حين تبجح الزيف المعربد
كيلا نرى الوجه الكذوب و لا ابتسامات المنافق
كيلا نرى البهتان يعبث فوق أشلاء الحقائق
ماذا عسى يجدى الإباء اليوم فى سوق الإماء ؟
و بأى أسلحة تذود عن الحقيقة فى مواجهة الألوف الدارعين ؟
و الصدق مغترب وحيد لا يصدقه أحد ؟!
و الحق منبوذ مشرد ؟!

برير : (حزيناً) يا للرجال المنجدين تقودهم أقدارهم نحو الحتوف !
و يسوقهم كرم الشمائل للهلاك
(للحسين) ها أنت ذا قد جئت تنجدهم بصحبك أجمعين
فاستقبلوكم بالسيوف
هم هكذا خدعوا أباك و هكذا باعوا أخاك ! !

زينب : يتلمسون ليخرجوه إليهم كل الوسائل
و يلاحقون أخى بآلاف الرسائل
فإذا أتاهم منجداً قلبوا له ظهر المجن
يا للرجال الغادرين .. و يا لآلام الحسين !

الحر : (حزيناً ممسكاً رأسه) و إذن يا ابن رسول الله فأذهب فى طريق يجهلونه
لا يؤدى بك للكوفة أو ترجع منه للمدينة

الحسين : أنا ماض فى طريق الحق .. لن أرجع .. أو أهلك دونه !

(يقبل شمر من الصدر قبل أن يرد الحسين)

شمر : أيها الحر لقد جئت بآلاف من الفرسان كى أدعم جندك

الحر : أنا لا حاجة لى الآن بأجنادك يا شمر فعد

الحسين : (لزينب) أدخلى أنت إلى الخيمة يا أختاه عودى للنساء

(تدخل زينب)

شمر : (صائحاً فى الحر) الأمير ابن زياد يأمرك ..

الحر : (مقاطعاً) يا ابن ذى الجوشن لا تصرخ كيلا يصدق القول عليك ..

شمر : (فى غطرسة) أى قول يا رياحى بربك ؟!

الحر : آية الله تعالى : و هى بالمعنى تقول : " أنكر الأصوات أصوات الحمير "

شمر : أبهذا تتلقانى أنا .. و أنا مبعوث مولاك الأمير ؟ فاستمع لى فأنا أحمل أمراً لا يرد ..

الحر : بلغ الأمر أمير الجيش .. بلغه ابن سعد ..

شمر : (يخرج ورقة من صدره)
إنه أمر إلى الحر الرياحى و أمر لابن سعد :
(يقرأ) عندما تلقى الحسين بن على فأقمه فى العراء
دونما حصن و ماء !
فإذا بايع فاحمله أسيراً ببنيه و نسائه
و إذا لم يعطك البيعة فاقتله و أوطئ صدره الخيل و ظهره
فإذا خالفت فى أمرنا هذا فاعتزلنا
و تخير لك قتلة
و دع الجند لشمر .. فتح الله عليه ..
(يدس الورقة فى صدره)

الحر : إنه و الله لن ينزل عن أمر أمية !
فله نفس أبية

شمر : إننى أبلغتك .. اللهم فاشهد
أنا ماض لابن سعد

(يخرج مسرعاً)

الحر : لعنة الله عليه و عليك

الحسين : إن من شايع سلطاناً على الجور فقد أجرم مثله ، هكذا علمنى جدى رسول الله مذ كنت صغيراً .. فتخير أيها الحر طريقك

الحر : صلى الله عليه و سلم

صلى الله على آله
اسمع يا ابن رسول الله
انزل على حكم ابن زياد

الحسين : يأبى هذا لى دينى .. و حجور طابت يا حر

الحر : أنت المقتول إذا قاتلت

الحسين : أترى بالموت تهددنى ؟!

الحر : إذا قتلوك فلن يرعوا شيئاً من بعدك و الله . لا تحرجنى يا ابن رسول الله و بايع .. ثم اذهب و اصنع بعد كما ترغب !! أنا مأمور بقتالك

الحسين : أتريدون سوى موتى ؟!

الحر : فسأنزلك بأرض قفر . بلا ماء .. و بلا زرع .. و بلا حصن ..

الحسين : (متجهاً للسماء) حملى قد أنقض ظهرى
فخفف يا رب وزرى
يا رب اشرح لى صدرى
احلل عقدتها ربى

الحر : (ضارعاً) يا ربى

برير : (للحر) ما عسى تكسب فى أخراك مما تصنع الآن إذا صرت أداة للعذاب ؟
أيها الحر و أنت الحر فلتخش عذاب الله فى يوم الحساب
أوَ ما فكرت فى الموت ففكر إن هلكت ..

سعيد : (مكملاً) حيث لا تنجيك أبراج و لا دور منيعة

الحسين : ما لكم إن قام فيكم رائد ..
و دعا الناس إلى المعروف روعتم طريقه
إننى أكتسح الأشواك من نهج الشريعة
عن طريق الصالحين التائبين القانتين
إننى أهتك أستار الخديعة
أنا مندوب لهذا الأمر من يوم وعيت
أننى أقشع ليل الزيف عن وجه الحقيقة
فلماذا أيها الحر تعادينى بربك ؟

الحر : (حزيناً) أنا مقهور على أن أقهرك

الحسين : فعزائى بعض ما لاقاه جدى من شقاء و عناء

الحر : (خاشعاً) إنه نعم العزاء !

الحسين : و لهذا قال جدى أنت منى يا حسين

الحر : قد سمعنا أنه صلى عليه الله .. قال :

برير : (يكمل) قال لا تؤذوا الحسين ابن على فهو ابنى
أنا منه و هو منى .. إنه قرة عينى

سعيد : أفتدرون على من تشهرون السيف يا حر إذن ؟

الحر : أنا لم أشهر عليه السيف .. مهلاً
(حائراً مأزوماً) إننى بايعت من قبل يزيداً
إننى أعطيت عهدى ليزيد
ابن هند أخذ البيعة منى ليزيد
و هى و الله إذن دين على
أإذا مات ابن هند رحت ألوى بالعهود
إن هذا ليس يأتيه فتى حر أبى !

سعيد : و الفتى الحر الأبى
(ساخراً)
جاءنا يرهب أولاد النبى
طاعة للفاسق الفاجر مولاه يزيد و هو طاغوت الفساد
أوَ لمولاه الدعى بن المدعى ابن زياد ! !

الحر : قد سألت الله ألا أبتلى يوماً بأمر للحسين

المنظر الثانى

(فى كربلاء .. صحراء جرداء قاسية .. و عراء كامل تتوهج فيه الشمس فى قرص أحمر و هى تهبط للغروب و ترسل على كل أنحاء المكان لوناً قانياً ..

المسرح مستويان : المستوى الأول منخفض من ناحية مقدمة المسرح و به أشجار .. هو معسكر أعداء الحسين من وراءهم على جانب يبدو نهر الفرات من بعيد .. حيث يقف الحر صامتاً أمام باب خيمة .. و المستوى الثانى مرتفع فيه صخور و رمال حيث يقف الحسين و صحبه و هذا المستوى الثانى يحتل النصف الأبعد من المسرح حتى عمقه على يساره باب خيمة النساء)

الحسين : أهكذا ينزلنا الحر هنا ؟
دونما حصن و لا ماء و لا مأوى لنا ؟

برير : أنا حزين القلب يا ابن المصطفى
فى كبدى النار و فى حلقى الشجى

سعيد : قهرونا .. إنهم عدة آلاف و أما نحن ..
كم نحن ترانا الآن ؟!

الحسين : نحن كنا ها هنا عدة آلاف
فصرنا .. كم غدونا ؟

بشر : مائتان .. !

الحسين : فيهم سبعون من أهلك .. أطفال صغار و نساء

بشر : أكاد أبكى جزعاً مما جرى

سعيد : و أنا أيضاً حزين يا فتى

الحسين : (حزيناً) ما الذى تتركه قافلة
تمضى بأحباب لنا
غير أحزان غلاظ و حنين و صدى
و تراب يملأ الأعماق ضيقاً و جوى .. ؟!

سعيد : أنا عطشان

الحسين : أين نحن الآن

برير : هذى نينوى

الحسين : ما اسمها الآخر ؟

برير : أرض الشط

سعيد : و تسمى كربلاء

الحسين : هى كرب و بلا ..
أنا مقتول هنا ..
قدرى خط لى الموت هنا

سعيد : بأبى أنت و أمى لا تقل هذا فديتك

برير : بل يموت الكل دونك

بشر : أنا عطشان

الحسين : أوَ ما نحن على شرعة ماء ؟

بشر : إننا قرب الفرات

الحسين : فاستقوا و اسقوا الخيول

سعيد : إنهم قد منعونا الماء يا سبط الرسول

الحسين : كيف ؟ هذا مستحيل
(ينادى متجهاً إلى الحر)
أيها الحر الرياحى لماذا تمنعون الماء أهله ؟
(يظهر الحر من ورائه الفرات من بعيد)

الحر : ليس من ماء لكم عند الأمير ابن زياد

الحسين : أنا عطشان و أولادى عطاش و نسائى و رجالى

الحر : إنه أمر الأمير ابن زياد
أعطنى البيعة و اشرب كيف شئت
و اشربوا أنتم جميعاً ما أردتم

الحسين : هو لا يملك هذا الماء كى يحكم فيه
إن هذا الماء ماء الله يا حر فكن حراً بحق

سعيد : ليس حراً عندما يقضى الأمير ..

الحسين : لا سقاك الله يوم العطش الأكبر إن أعطشتنا

الحر : لا تلمنى فأنا المرغم لا أمنعه و الله إلا رغم أنفى

الحسين : لعن الله رجالاً خالفوا الله كى يرضوا سواه بالمعاصى

الحر : (خائفاً) لا تحملنى .. هذا ..
أنا لا أحتمل اللعنة من سبط الرسول

بشر : أوَ ينسى الحر أنا قد سقيناه و صحبه ؟

سعيد : فلو أنا منعناكم لظل الماء موفوراً لدينا

برير : إن هذا الماء تُسقاه الخنازير فهل يُمنعه آل الرسول ؟

(تخرج سكينة شاحبة من باب الخيمة إلى اليسار)

سكينة : أنا عطشى يا أبى

أصوات من بعيد : العطش .. .. العطش

(يظهر شمر من تحت شجرة أخرى من المستوى الأول)

شمر : قسماً بالله لن يشرب منكم واحد حتى يذوق الموت غصة

الحر : (ناحية) اعف عنى يا إلهى
(معرضاً بشمر) إنه عين علىَّ ..

برير : عندما حاربتَ فى صفين يا حر ألا تذكر شيئاً عن على ؟
كان فى مقدوره أن يمنع الماء عن الأعداء حتى يهلكوا ..
فأبى هذا .. ألا تذكرها ؟
و سقاهم كلهم حتى ارتووا

الحر : (صارخاً) يا ابن سعد يا أمير الجيش أقبل

عمر بن سعد : من هنا يصرخ ؟ .. من أنت ؟ تكلم ..

الحر : أنا ذا الحر الرياحى يناديك فعجل ..

(يظهر عمر بن سعد خارجاً من خيمة فى يسار مقدمة المسرح .. فى المستوى الأول حيث الأشجار على جانبى المقدمة .. و القمر يتسلق السماء من بعيد ليطلع على المرتفعات حيث الحسين و رجاله و خيمة النساء و وراءه الصحراء الشاسعة و قد غربت الشمس الآن)

عمر : أقبل أنت .. هنا جنات و نهَر

(أصوات النساء و الأطفال من خيمة الحسين)

الأصوات : العطش .. .. العطش .

(تتداخل بعض أصوات الرجال) العطش .. العطش ..

(الحر يذهب إلى ناحية عمر و القمر يعلو .. و ما زال فى الأفق لون أحمر من الأصيل تخالطه الزرقة الداكنة .. تخرج زينب من الخيمة و تقف على بابها تتأمل الأشجار حيث اتجه الحر إلى عمر ثم تنظر إلى الحسين و ما زال الأنين و الصراخ بالعطش يتوالى)

أصوات نساء : وا عطشاه .. .. وا عطشاه ..

زينب : (وحدها للحسين) لقد أصبحت وا أسفاه
بين الناب و المخلب !

الحسين : (لرجاله) أذنت لكم فانطلقوا الآن
فأنتم فى حل منى
أنتم فى حل من بيعتكم
ليس عليكم من حرج
هذا الليل يغشيكم فاتخذوا منه رواحلكم
سيروا فى هذا الليل
و ليأخذ كل منكم بيد صغير من أهلى

سعيد : و لماذا نبقى من بعدك ؟!

برير : و ماذا نفعل يوم الحشر إذا ما قابلنا جدك ؟

بشر : أنقول تركنا قائدنا لم نطعن معه بالرمح
و لم نضرب معه بالسيف .. ؟!

(من الصدر يقبل أربعة رجال فى سيوفهم يحملون قرباً من الماء و يلقونها أمام الحسين .. و الرجال هم حبيب بن مظاهر و زهير بن القين و نافع بن هلال و ابن عوسجة)

برير : (يعانق أحدهم) الحبيب بن مظاهر

سعيد : (يعانق رجلاً آخر) و زهير ؟ .. إيه يا ابن القين .. أهلاً

الحسين : (يصافحهم جميعاً بحرارة و يقف عند أحدهم) مسلم بن عوسجة .. ؟
كيف تركت الناس يا ابن عوسجة ؟

ابن عوسجة : اشرب يا ابن رسول الله ..

الحسين : بل أنا آخر من يشرب ..
فليشرب من هم أولى

(يشرب سعيد و بشر و برير و بعض الرجال)

الحسين : و اسقوا النسوة و الأطفال

(سعيد و رجال يحملون بعض القرب متجهين إلى خيمة النساء على اليسار حيث وقفت زينب .. بشر يحمل بعض القرب إلى اليمين حيث تجمع رجال الحسين)

(النساء و الرجال يتخاطفون القرب .. تختفى القرب فى الداخل)

الحسين : حمداً لله سيشرب كل الناس الآن و لو قطرة ..

ابن عوسجة : (يقدم شيئاً يشبه الزجاجة الصغيرة من جلد إلى الحسين) اشرب أنت رعاك الله

الحسين : أشرب الكل ؟

زينب : (من مكانها) شرب الكل بحمد الله .. فاشرب أنت ..

الحسين : (يأخذ جرعة و يعيد الإناء إلى ابن عوسجة) حسبى هذا .. فلتحفظه فقد نحتاج إليه غداً

ابن عوسجة : تدخر الجرعة بل و القطرة كى تشربها فيما بعد !
و ها هو ذا ماء الأنهار يسيل أمامك ؟! يا للعنة ! !

الحسين : كيف تركت الناس وراءك .. ؟

ابن عوسجة : تركتهم فى أسوأ حال ..

الحسين : كيف حال الناس فى الكوفة ؟ قل لى يا زهير .. ؟

زهير : حال ذل .. حال غدر ..
عظمت رشوة أهل الرأى فى الكوفة فانفضوا عن البيعة لك
و سواد الناس مقهور فلا رأى لمن لا حول له

حبيب : غير أن السيف فى أيديهم أشهر ضدك

ابن عوسجة : فقلوب الناس لك
و حراب الناس و الله عليك

الحسين : كيف هذا .. و قلوب أشربت بغض يزيد
لم تزل و الله منهم فى الجوانح
و هى و الله قلوب
خفقت بالحب و العدل و أحلام الخلاص ..
إنهم لم ينزعوها بعد من أبدانهم
و هم لم يفقدوا بعد الجوارح
فلماذا شهروا السيف علينا ؟!! لعداء أم قصاص !؟

ابن عوسجة : آه لو أقدر أن أدفع هذا الضيم عنك ..
ليت لى ألفاً من الأرواح كى أبذلها فى نصرتك ..

الحسين : هكذا قد أصبح الأنصار فى الكوفة يا ابن القين أشواكاً بظهرى ؟!

زهير : (متألماً) شرفاء الناس فى الكوفة صاروا كلهم إلباً عليك ..

الحسين : هكذا تغدر بى الكوفة يا نافع .. فيم أنت صامت ؟!

نافع : فقراء الناس ما زالوا معك

الحسين : غير أن الفقر يا نافع إذلال .. فما يقوى فقير أن يجادل

نافع : أنا لا أعلم ما فى نفس غيرى
فهم ما بين طماع و ملتاع و شامت
غير أنى وطنت نفسى أن أقاتل
و سأمضى فى قتالى دونكم حتى أموت ..
لست أبغى بقتالى غير ما عند الذى ليس يموت

(من أمام خيمة عمر بن سعد يقف عمر بن سعد و الحر و شمر و أسد ، متناثرين بعرض المسرح فى المقدمة)

عمر : جاء الحسين ثلاثة من خير أعلام البلد

شمر : بل أربعة

عمر : و هم ذوو رحم بقادة جيشنا
و لهم نفوذ فى السواد
فيفسدون على جيشى

الحر : هو ذا ابن عوسجة الذى قاد الجيوش بأذربيجان قديماً
رجل له فضل علينا كلنا

شمر : و حبيب بن مظاهر

أسد : و زهير بن القين أشهر لاعب بالسيف فى ساح الوغى

عمر : و هناك نافع

الحر : إنكم لا تجهلون مقام نافع فى الجنود

أسد : إن لم يبالوا بالحسين فلن يراعوا ما لغيره !

عمر : لا تستهينوا .. إنهم بصلاتهم قد يفتنون رجالنا

شمر : أنا أكفيك عدوك

عمر : (بازدراء) اكفنى نفسك إن تقدر عليها
فلتحاصر طرق الكوفة .. اذهب يا شقى
فعسى تحبس عن جيش الحسين ابن على
كل من يخرج كى ينضم له

(يتحرك شمر مسرعاً ليخرج)

سكينة : (تأتى سكينة من الخيمة فتقف إلى جوار عمتها زينب فى المستوى الأعلى)
قطرات الماء هيجن العطش
أفلا ماء لنا بعد هنا ؟

أصوات من الداخل : العطش .. العطش ..

(رجل على كتفيه قربة متجهاً إلى معسكر الحسين)

الرجل : (لرجال عمر بن سعد)
أيها الكفار قد و الله أصبحتم و أكبادكم مثل الصخور
أنا ذا ماض لكى أسقيهم

(شمر و هو ينصرف يضرب القربة بسيفه فيسيل الماء على الأرض ثم يدفع الرجل بحد سيفه و يخرجان معاً و يسمع صوت سقوط الرجل خارج المسرح مختلطاً بصرخته)

الحر : (متألماً) مات شهيداً .. فله الجنة ..
و سنحيا نحن فى اللعنة

أسد : إنا من شرفاء الدولة
لا ترهقنا أبداً ذلة !
و نحن أولو تقوى يا حر و يوم الروع ذوو صولة

الحر : يا للشرفاء الملعونين !

برير : (من المرتفع) ويلكم يا أهل الكوفة ويلكم
كل شراب منذ اليوم
سيغدو ناراً فى جوفكم

عمر : (من السهل) لن يشرب هذا حتى يهلك

برير : ماذا تطلب منه الآن ؟ دعوه يعد ..

عمر : إما البيعة أو رأسه

ابن عوسجة : و إذن فتذكر وحشياً قاتل حمزة يا فاسق ..

عمر : قاتل حمزة تاب و أسلم ..

زهير : بل ظل يعب الخمر و يمشى تحت ظلال اللعنة
يطارده فى حيث مضى
صدى من غضب رسول الله
فكيف بكم بعد الإسلام
منعتم ماء النهر الجارى عن أهله ..
و أعطشتم قرة عينه

عمر : أسكت .. أسكتك الله .. أسكت

زينب : (منتفضة) لا تذكر بعد اسم الله
فإنك ويحك قد أقبلت لتطعن فى قلب رسوله
يا عمر .. انظر ..
يا أسد انظر
أنظر يا حر
الأفق الداجى يحمر ..
و على أعراف الأفق رسول الله يطيل النظر لكم
إنى أسمع رجع بكائه

وا جداه !! .. إنى أسمع خفق دعائه
يا لله .. !
أرى دمعات من عينيه الطاهرتين
تخضل لحيته القدسية ..
أنظر يا عمر .. ألا تبصر ؟!
وا جداه !! صلى الله عليه و سلم ..
ماذا يا ابن أمين الأمة سوف تقول لجدى يوماً
حين تراه
أتقول له جئنا كى نستأصل أهلك ؟
صلى الله عليك و سلم ..
جئنا كى نقتل ولدك
صلى الله عليك و سلم
إنا أعطشنا طفلك ..
صلى الله عليك و سلم
جئنا كى نهتك حرمك ؟؟
صلى الله عليك و سلم .. !!

(رجال من معسكر عمر بن سعد يملأون الآن مقدمة المسرح)

رجال عمر : صلى الله عليه و سلم
صلى الله على آله ..
(مشيراً إلى زينب)

عمر : ستخذل عنا جيش الكوفة ..
(ينادى زينب) عقيلة بيت رسول الله ..

زينب : عنى يا من خان أباه ..
يا من باع جهاد الأمس
و جاه الدين
و عز الدار الأبدية
بعَرَض فانٍ من دنياه ..

(الحسين يأخذ أخته و يحاول أن يدخلها إلى الخيمة)

الحسين : عودى الآن يا زينب ..

زينب : (و هى تتجه معه إلى الخباء و معها سكينة)
لقد أصبحتَ وا أسفاه بين الناب و المخلب !

(تدخل زينب و سكينة إلى الخباء .. الحسين و صحابه الذين كانوا على المرتفع يتفرقون الآن و لا يبقى إلا عمر بن سعد و رجاله فى السهل فى المستوى الأول فى مقدمة المسرح - يتهامس بعض هؤلاء الرجال من معسكر عمر بن سعد .. ثم يتقدم منهم رجل إلى عمر .. و الرجل هو

التاجر الأول أو العريف الأول و معهم الشاب الذى وشى بمسلم بن عقيل عند ابن زياد و هو الآن فى ملابس قائد)

التاجر (1) : يا ابن سعد قل لنا ..
نحن إذا متنا هنا فعلى أى الديانات نموت ؟

عمر : (مروعاً) أجننت ؟

الشاب (1) : بل أتينا لنــُميت

عمر : هو ذا يا أيها القائد .. قد أصبحت و الله رشيداً
إيه .. ما أحكم ما قلت على أنك ما زلت صغيراً ..
و جديداً ..

التاجر (1) : (بازدراء للشاب (1) موجهاً الحديث للآخرين)
كان هذا القائد المغوار من عدة أيام صبياً فى محلى ..
يخسر الميزان للناس و يسطو من ورائى بالبضاعة

الشاب : (صارخاً) أنت جندى هنا .. لا تقل هذا لمثلى ..
لا تقل هذا لقائد

التاجر (1) : (لعمر) فإذا ما انتهت الحرب و قد أصبحت سفاحاً بأثياب و ظفر
قد ألفت القتل و التخريب ؟! .. يالله .. قل لى يا عمر ..

عمر : (مقاطعاً) أنت مجنون .. غريب .. ما ازدجر

التاجر : أنا مدعو لكى أقتل مَن لا أعرفه
دونما أدنى عداء سابق بينى و بينه !
فإذا عدتُ من الحرب و قد أصبح هذا القتل عادة
و على كفى هذا الدم حتى المرفقين
دم إنسان له مثلى قلب
و أمانى و أحلام و أطفال و زوجة
و مودات عذاب و له ماضيه كله
و له مستقبل يبسم له
كيف بالله إذن أشعر أنى أحمل الحب لطفل أو لطفلة ؟
كيف أقوى بعد أن أهجع فى أحضان زوجى
أنا من مزق بالسكين لحماً بشرياً !!؟؟
ليس لحم الناس كالجبنة كى أعمل فيه حد سكينى .. ويحى
أو لكى أفرى هذا اللحم فرياً

الحر : (بمرارة) هكذا تصبح من أبطالنا !
أنت لو آمنت بالحرب لما فكرت فى ذلك قط

عمر : (جاداً) قاتل الواحد مجرم
قاتل الآحاد سفاح حقير مبتذل
غير أن الحرب شئ مختلف
قاتل العشرين فى الحرب بطل
و الذى يقتل عشرين و عشرين .. أجلّ
و الذى يقتل فى الحرب مئات هو أبطل
و الذى يقتل فى الحرب ألوفاً
فله الهيبة و العزة و المال
و تقدير الرجال

الحر : (مريراً ساخراً) و لهذا أيها التاجر لا تجزع من القتل .. فسر ..
انطلق فى الأرض فاقتل فإذا أنت بطل ..
قدر ما تقتل منهم أيها التاجر يغدو لك قدر من بطولة ..
فلتـُمتهم أجمعين ..
(يكتم صراخه) إن هذا قدر الإنسان فى الحرب ..
فمن ذا يا ترى يهرب منه !؟

التاجر : و إذا مت أنا ؟ و إذا ما نحن متنا يا أسد ؟

أسد : (حائراً) و إذا ما نحن متنا .. ؟

التاجر : فلتجبنى يا عمر ..

عمر : فسنقضى شهداء

التاجر : مسلمين ؟!

عمر : دون ريب .. مسلمين !
شهداء مسلمون

التاجر : أكما مات شهيد الحق حمزة ؟

الشاب : (صارخاً بصبيانه و يده على مقبض سيفه)
من هنا يذكر حمزة !!؟
من هنا يجرؤ أن يذكر أسماء بنى هاشم .. من ؟

الحر : بعض هذا أيها الطفل الغرير ..

الشاب : إننى مثلك قائد ..

الحر : (مستمراً) فلذكرى حمزة فى كل قلبٍ مؤمنٍ و الله هزة !

عمر : قلت و الله صواباً يا صديقى

التاجر : و إذ نحن قـُتلنا شهداء
فسنبقى عند رب العرش أحياء حياة الشهداء السابقين ! !

أسد : (متنهداً) هيه .. أحياء لديه يرزقون

التاجر : و أمام الله قد نبصر حمزة
ما عسانا سنقول ؟
و رسول الله يا ويلاه إذ القاه ويحى .. ؟
ما عسى أصنع إذ ألقى الرسول
كيف ألقاه و قد ضرج كفى دم أهله ؟
أفلا يبعد عنا نور وجهه ؟

(الحر فى أزمة يستدير لكيلا يواجه الرجل و كأنه يخشى أن ينفجر .. و عمر تسيطر عليه العصبية هو و أسد)

الحر : يا إلهى .. يا إلهى .. رحمتك .. !

عمر : (للتاجر) فلتغيِّب وجهك الفاجر عنى ..

التاجر : هكذا قال نبى الحق و الله لوحشى قديماً يا عمر
فرسول الله لا ينظر فى وجه رجال قتلوا خير الأحبة ..
إننا نطعن قلبه !

الحر : (يصرخ) امض كى تسأل عن هذا الأمير ابن زياد
إنه يدفعنا للأمر دفعاً

التاجر : هو لن يملك يوم الحشر نفعاً
(لعمر) فلتسله أنت مُلك الرى أو جرجان سله هبته ..
و سآوى لمكان لا ينال الناس فيه سطوات ابن زياد أو يزيد
(صارخاً فى الناس) إن من آمن بالله و من خاف الحساب
فليسر عن عصبة البغى إلى ركب الحسين
إنه نور محمد
فإذا لم يستطع فليعتزلهم ثم فليهرب بدينه
قد أوى الفتية للكهف قديماً عندما ساد الفساد
(خارجاً) فعسى أن ينشر الله علينا رحمته

تاجر (2) : (يتقدم جهة معسكر الحسين) و أنا ماض إلى جيش الحسين

شمر : (يظهر مسرعاً و يعترضه بسيفه) لن تمر ..

عمر : شمر دعه .. فهو لن ينقصنا و الله شيئاً
و هو لن يقوَى به جيش الحسين

إنه إن سار عنا فأنا أطرح عبئاً !!
نحن آلاف كثاف و همو بضع مئات لا تضر
و غداً يأتى إلينا مدد عدتهم عشرون ألفاً

أسد : مثل هذا إن تركناه هنا
خذل العسكر عنا
دعه يذهب يا ابن ذى الجوشن دعه
فهو لن يشهر سيفاً

(صرخات من ناحية خيمة النساء) : العطش .. العطش

شمر : (ضاحكاً متشفياً) إيه فلتصرخن أيضاً ..
قسماً بالله لن تشربن حتى تهتك الأعراض
أو يسقط رأس ابن على

الحر : (صارخاً) عرض مَن تهتك يا أدنأ خلق الله طرا
أى عرض ؟!!

أسد : (حزيناً) هكذا قد سلط الله علينا بأس بعض

زينب : (تخرج من خيمة النساء مندفعة)
يا أهل الغدر و أهل الكيد
ما ثأر نبى الله لديكم يا أهل الكوفة
لكى تقتصوا من أهله ؟
بأية أقدام تمشون إلينا يا أهل الكوفة ؟
أى إباء يدفعكم لقتال بنات نبيكم
و لترويع الأطفال ؟
و قتلهم فى نار العطش

صرخات : العطش .. العطش
نكاد نموت بنار العطش

زينب : صرخات الصبية تتعالى تهتز لها أركان العرش
و يذوب لرقتها الصخر
أختم الله على الأسماع
أطبع الله على الأفئدة

(يدخل الحسين و رجاله و يتناثرون على صخور فى المرتفعات فى المستوى الأعلى)

الحسين : عودى يا زينب و احتسبى لله صغارك و صغارى

زينب : وا غربتاه .. وا وحدتاه ..
و يا لأخى بين أنيابهم يدافع فى الله حكم القضاء ..

الحسين : لا يذهبن بحملك الشيطان يا أختاه ..
عودى للخباء
و أجملى فينا العزاء
و كفكفى دمع النساء

عمر : يا حسين بن على .. فلتبايع ليزيد
و اشربوا الماء كما شئتم جميعاً ثم عد

الحسين : أوَ ما أنت ابن سعد ؟
(عمر يكاد يتوارى)
يا ابن سعد فلتواجهنى .. لا تستخف منى يا عمر

عمر : (من المنخفض محرجاً منفجراً)
أنا لا أخشاك يا هذا فأمسك .. لا تزد

الحسين : ليست الخشية ما أعنيه بل بعض الحياء

عمر : فلتبايع ليزيد
و علىَّ العهد أن أترككم تمضون عنا سالمين
فلتبايع ليزيد
و لتعد من بعد هذا للحجاز

الحسين : أنا لن أذعن إذعان العبيد
أنا لن أعطى إعطاء ذليل يا عمر ..
لست و الله جباناً لأفر

شمر : فلنحاصره . أألتف بهم من خلفهم

الحسين : (لرجاله) احفروا حول خيامى خندقاً
و املأوا الخندق ناراً لا تجاز ..

(يذهب بشر و سعيد و رجال فى ناحية اليمين بينما تقبل سكينة من ناحية الخباء من اليسار)

سكينة : يا أبى خذنى إلى منزل جدى فى الحجاز

أسد : يا حسين بن على لِمَ جئت ؟

الحسين : (بجوار عمر) سل رجالاً كتبوا لى أمس كى أنجدهم
و هم فى يومهم هذا سيوف البغى فوقى ..
ويلهم !!
(يتقدم على المرتفع مقتحماً نحو عمر و رجاله
و هو يشير إلى عدد من رجال عمر الواحد بعد الآخر)

أنت قد كاتبتنى
(يشير إلى آخر) ثم أنت
(و يشير إلى ثالث)
أنت أيضاً طالما حملتنى ذنب قعودى عنكم ..
ثم أنت
(الرجال يديرون وجوههم)
كلكم كاتبنى

رجل 1 : أنا ما كاتبته و الله .. إذ لا شأن لى يا قوم إلا بالتجارة

رجل 2 : بل كاتبته .. و أنا أيضاً فعلت ..

الحسين : ما الذى غيركم عن طلب العدل إذن ؟
أهو ما أطمعكم ظالمكم فيه من العيش الرغيد المطمئن ؟
(و هو على المرتفع يتجه لواحد منهم على المنخفض)
أنت قد كاتبتنى .. فلماذا أيها الشيخ نكلت ؟
أهو الخوف .. و لكن يا صديقى فلتفكر فى الثمن

رجل 1 : قد سئمنا الخوف و الفقر فدعنا آمنين

رجل 3 : فلتبايع ليزيد ثم قل ما شئت قل

الحسين : فلماذا لم تقولوا كل هذا لى و السيف مشيم لم يُسل ؟

أسد : فلتبايع .. و انصرف عنا و لا تحرج صدور الشرفاء

رجل 2 : إنما تسعى لكى تسلبنا ما تحت أيدينا من المال .. فدعنا

الحسين : يا عبيد المال سحقاً بل تداعيتم على الدنيا الغرور
كفراشات تداعين على ضوء السعير
لا تكونوا عصبة الآثام فيها ينفث الشيطان حقده
لا تكونوا كالذى يشعل ناراً
ثم يصلى من لظى النار وحده
و سواه آمن من حرها ينعم منها بالضياء
ارحموا أنفسكم يرحمكم رب السماء

(بعض الرجال ما زالوا يتوارون خجلاً)

رجل 3 : قد خدعناه بحق

رجل 4 : نحن معذورون و الله أمام ابن زياد

رجل 5 : أرجال نحن ؟ بل و الله أشباه رجال جبناء ..

الحسين : إنكم لا تبلغون اليوم ما ترجون إلا أن تخوضوا لجج الباطل نحوى ..
خبرونى إن يكن ما زال فيكم رجل حر كريم
كيف بالله رضيتم بالذى يحدث منكم ؟
تمنعون الماء عنا ؟!
ترفعون السيف يا قوم علينا ؟!
أنتم استصرختمونا والهين
و فزعتم لحمانا سائلين
أإذا نحن أتينا منجدين
أطلقتم شهوة الدنيا عليا ؟
أنظروا فى عاركم .. !

الحر : (لعمر) فلتدعه يعد إلى حيثما شاء كفانا الرحمن عقبى قتاله
(لنفسه) آه لو أنه يعود بآله ..

شمر : أيها الحر أتهذى .. ؟

الحر : (منفجراً) لست أهذى أيها الشائه يا ابن الفاعلة ..

شمر : أيها الحر لماذا نتشاجر ؟

(يتهامس عمر و الحر و أسد)

(الحسين و صحبه على المرتفع يتشاورون)

نافع : فلنقاتل هؤلاء الآن فالأمر يسير

زهير : (مكملاً) فسيأتى بعدهم حشد كبير

برير : فلنقاتل قبل أن ينهكنا طول العطش

ابن عوسجة : فلنقاتلهم و هم مختلفون

الحسين : ما كنت لأبدأهم بقتال

عمر : (من المنخفض ضاحكاً لشمر)
إيه يا شمر .. أما كنت قديماً واحداً من شر قطاع الطريق ؟!

شمر : ثم تبنا

عمر : (مستمراً) فاقطع الآن طريق الفقراء

قبل أن يأتوا من الكوفة أرتالاً إلى جيش الحسين

(يخرج شمر مسرعاً)

الحسين : (صارخاً من على المرتفع)
أفلا يخاطبنى ابن سعد ؟
(صوت من معسكر ابن سعد) :
بل قد يخاف فإنه قد صار عبداً لابن هند !

عمر : (للحسين) ماذا تريد ؟؟ هو القتال فما تريد ؟؟

الحسين : أذكر مواقف سعد يا عمر بن سعد
أذكر أباك
أذكر بسالته هنا فى القادسية يا رجل
إذ كان أول هاتف بنداء جدى : الله أكبر
أذكر أباك .. أذكر مواقفه الجليلة فى أحد
أذكر أباك و لا تكن عاراً على ذكرى البطل
أذكر أباك و لا تكن نجساً على قبر الرجل

(عمر بن سعد يتأخر على هذه الكلمات بعيداً متجهاً إلى خيمته)

عمر : (صارخاً) فلتسكتوه فلن أدين بطاعة لبنى على !

برير : (لعمر) لكنه سبط النبى ..

ابن عوسجة : و أبوك أول من رعى بالسهم فى الإسلام ؟ ويحك من غوىّ !

زهير : (لعمر) يكفيك فخراً أن تدين بطاعة لابن الدعىّ

الحر : (لعمر) أأنت تقاتل هذا الرجل بإذن الله ..

(عمر صارخاً بمرارة يخالطها الفزع كأنه يهرب)

عمر : أى و الله قتالاً لا يهدأ يا حر
أيسره أن تسقط رأسه !

الحسين : (لعمر) أتقتلنى زلفى لله .. ؟
أدفاعاً عن حق الأمة .. ؟
أتكشف فى قتلى غمة .. ؟
أدفاعاً للظلم الناطح
فى أحشاء المطحونين
أم تزعم أن يمنحك الفاسق مُلك الرى و جرجان ؟
أى هوان .. أى هوان ؟ !

فاصنع ما يدفعك إليه الطمع القاتل يا مجنون
فلن تفرح بعدى بالدنيا يا مسكين
و كأنى بك قد قطعوا رأسك هذا المثقل بالأطماع
و قد نصبوه على قصبة

عمر : (صارخاً) أسكت .. أسكت .. لن أسمع منك !

الحسين : (مستمراً) رأس تطمسه حكمته أحلام المُلك
يشمخ فى طرقات الكوفة منتصباً فوق العيدان
و يُطرح بعد على الأرصفة لكى يتراماه الصبيان
و يُلقى بعد إلى الأوحال لكى تتعاوره الديدان

عمر : ماذا تنتظرون عليه ؟ شدوا كلكم شدوا

الحر : لم تؤذِن بقتال بعد
(صارخاً فى الناس) لا يطلق أحد منكم سهماً !

عمر : فها أنا ذا يا حر أذنت ..

الحر : لا تصنع هذا فى غضبك
قابله غداً فلقد يكفينا الله تعالى شر الفتنة
و الآن تعال بنا نتشاور
جنبنا الله طريق الشر

(عمر و الحر و أسد يدخلون إلى خيمة عمر فى المستوى الأول و يبقى الحسين و صحبه فى المستوى الأعلى .. و الليل يفيض)

الحسين : أسرعوا الآن لكى نعمل فى خندقنا

زهير : نعم هذا الرأى
قد و الله دافعنا وراء الخندق المشهور عن حرمة يثرب

ابن عوسجة : كان و الله علىّ بطل الخندق فى ذلك الزمان

برير : و هزمنا المشركين

ابن عوسجة : هكذا نهزم أحزاب الضلال

(يتجهون إلى اليمين ليخرجوا ثم يتوقف زهير و معه الآخرون)

زهير : قل لنا يا ابن رسول الله
ما يكشفه الله تعالى لك عما نحن ماضون إليه ؟

الحسين : أأنا .. ؟ (يتوقف)

ابن عوسجة : قل لنا فالله قد أعطاك سره

نافع : قل لنا بعض الذى تعرف عن أخفى الأمور القادمة

الحسين : أنا لا أعرف ما لا تعرفون
أنا لا أعرف خيراً منكم لو تدركون

زهير ابن القين : إنما تخفض للناس جناح الذل من عزة علمك

الحسين : ليس لى علم بما لا تعلمون

برير : إن ما ضاق علينا من مدى ..
لفسيح عند مثلك

ابن عوسجة : أنت أدنى الناس لله تعالى
و رحاب الله ممدود لديك

حبيب : و جناح الله مبسوط عليك

زهير : أنت مرسى الصالحين

حبيب : قل لنا ماذا عسى نصنع بعد ؟

بشر : أنت مَنجَى الناس فى المسرى العظيم !

نافع : قل لنا بعض الذى تعرف مما خصلك الله به

ابن عوسجة : إنما تعرف ما لا نعرفه

الحسين : إننى أعرف أن الخير مصلوب على باب المدينة
و حواريوه من ذعرهم لا يندبونه
إنهم تحت ظلال الشوك يبكون .. و لكن ينكرونه
إننى أعرف ما يغشى النجوم
عندما تزحف أرتال السحاب الجهم فى الليل البهيم
إننى أعرف أن الشمس ما عادت تنير
عندما تعمى قلوب فى الصدور
مثلما تعمى العيون !!
إننى أعرف أن الرجل الباسل لا يعطى الدنية
فى خيار بين ذل العيش أو عز المنية
إننى أعرف أن الزيف قد أصبح سلطان الجميع
فاتك يغزو و ما من قلعة تثبت دونه

مهَّد الخوف له الأرض و أغراه الخنوع
ملك مستهتر يثخن فى الأرض و من يثخن فيهم يعبدونه
تاجه الغدر و أسراه الدموع !

(يخرجون جميعاً من المرتفع و يقبل رجل من جيش عمر هو أحد عرفاء الكوفة و تجارها)

العريف : (ينادى) يا سعيد بن سعيد
يا ابن عمى يا سعيد

(يعود سعيد مسرعاً و يقف على المرتفع و العريف فى المنخفض فى المستوى الأول)

سعيد : يا ابن عمى لمَ تزعق

العريف : أنت قد أوحشتنى

سعيد : أى و ربى أنت قد أوحشتنى جداً فما حالك ؟
ما أحوال بيتك .. ؟
و عيالى يا ابن عمى كيف هم .. ؟
كيف ليل الكوفة الصافى الجميل ؟
و جواريك الحسان الفارسيات ؟ و تلك الرودسية ؟
أيغنين كما كن طوال الليل ؟ قل لى ؟ و التجارة ؟!

العريف : يا ابن عمى لم تنحاز إلى جيش الحسين ؟

سعيد : يا ابن عمى خيبة الله عليك
ألهذا جئت تدعونى و تزعق
أنا مشغول فدعنى

(يسرع ليخرج من حيث خرج الحسين)

العريف : و بماذا أنت مشغول فديتك ؟!

سعيد : إن عندى حفر خندق (ما زال يسرع ليخرج)

العريف : يا ابن عمى لم تجبنى
لم تنحاز إلى جيش الحسين ؟

(سعيد يتوقف و يصمت قليلاً ثم يعود إليه)

سعيد : و لمن ينحاز من كان له قلب و عين ؟

العريف : أنا لا أجفو الحسين
و أنا و الله لا أرفع السيف عليه .. غير أن ..

سعيد : (يقاطعه) أفلا تحمل لى قربة ماء ؟

العريف : دون هذا الموت .. فالماء عليه ألف سيف !
ما لهذا جئت يا ابن العم بل جئت لكى ..

سعيد : (يقاطعه) لكى .. ماذا ؟
لكى تسألنى الآن :
لماذا أنا فى جيش الحسين ؟

العريف : إننى أرجو لك العزة و المال الوفير
و نعيم الدهر .. إن جئت إلى جيش الأمير

سعيد : (صارخاً) أنت مجنون بلا ريب .. انصرف
رح تمتع بالفتاة الرودسية !

العريف : لا تصح لا يسمعونا
لا تبالغ .. إنما الأمر يسير
كل ما فى الأمر أن تخطو خطوة
خطوة تجلب حظوة
و إذا الدنيا بما فيها لديك
و إذا أنت كأهليك غنى
و إذا أسرتنا باتت و ما فيها فقير
يا أخى اهبط نحونا
إنها و الله خطوة

سعيد : خطوة واحدة لكنها كمدى الأرض لدى
إنها مفرق ما بين خلودى فى النعيم السرمدى
أو خلودى فى الشقاء الأبدى

العريف : لا تفلسف كل شئ إنما الدنيا فرص
فاهتبلها و اقتنص !

سعيد : إننى لا أتفلسف
أنت أوجعت دماغى بالذى تهذى به فلتنصرف

العريف : يا أخى اصنع لبنيك ..

سعيد : و لهذا اخترت صف الحق لا در أبيك

العريف : فإذا متَّ فماذا يصنع الأولاد بعدك ؟

سعيد : ورثوا من رفعة السمعة و الذكر الحسن

كل ما يغنيهم بعدى على طول الزمن

العريف : (ساخراً) هو لن يغنيهم إلا قليلاً
ثم لا ينفعهم بعد فتيلاً
أم ترى تطمعهم من سمعتك ؟
ما الذى ينفعهم إن مت و استمتعت فى الجنة فى
فى قصر كبير من ذهب ؟
ثم ما خلفت إلا حسن ذكرك ؟
(ساخراً) و إذن .. فليأكلوا من حسن هذا الذكر شهداً
إنما ينفع أولادك أن تحيا و لو فى عقر دار من قصب
و أنا أدعوك و الله إلى مُلك كبير ليس يبلى
و الجوارى و احترام الناس إذ تصبح ذا مال و منصب

سعيد : (مذعوراً يكاد يجرى)
أيها الشيطان قد أوشكت أن تفتننى ..
اذهب الآن و دعنى
امض عنى

العريف : (يتوقف) سعيد .. تعال
(فى استعطاف) تعال بربك .. فلتتبعنى

سعيد : جف القلم بما هو كائن
قضى الأمر فلا تظلمنى

العريف : ما كتب القلم عليك الموت
أتراك غداً ستبارزنى ؟
أفتقتلنى أم أقتلك ؟
ألا تعقل ؟

سعيد : أترانى أدفع عن باطل ؟

العريف : أعرف أن الحق معك (يتنهد)

سعيد : ألا تنتفع بمعرفتك ؟

العريف : (بخفة) فمن بعدى سيضاحك ويحك هذا السفاح ابن زياد
و من يأخذ من ذهب يزيد حتى يرضى
أنا لا أنزل عن شئ
لكنى أطلق كلماتى ضد علىّ و حسين
و لقد أفحش أحياناً و بهذا أضمن دنياى

سعيد : و دينك ؟ دينك يا ابن العم ؟

العريف : لكن الدنيا أضمن (ثم يتلعثم)
و أنا و الله مريد حسين .. لكنى ..
أفهم منى ..
أنا مع ذلك متدين
أصلى و أزكى بالمال
و أقوم الليل و أستغفر
و أصوم و أعطى الصدقات
و بهذا تمحو حسناتى
ما أرتكب من الهفوات
للحسنة عشرة أمثال
و السيئة لها مثل
فأحسب .. أحسب ..

سعيد : (ضاحكاً) أتبيع على الله الحسنات ؟
أتتاجر حتى حين تعامل من خلقك ؟

العريف : افهم مثلى روح العصر
لا تهلك نفسك فى حرب خاسرة نعرف عقباها
إنكمو سبعون فحسب جئتم تنتزعون الثروة من أيدينا
كى تعطوها للفقراء
أما نحن فنحن هنا بضعة آلاف
كلهم تجار مثلى أو عرفاء .. مثلى أيضاً ..
قد سلطهم حب المال عليكم و الحرص الأعمى
و حتى الفقراء الأوغاد و قد جئتم من أجلهم
منهم من خرجوا معنا و غدوا ضدكم يا ابن العم
فانضم إلينا .. انضم .. انضم

سعيد : الفقر جبان أحياناً يورث صاحبه الذلة

العريف : انضم إلينا فإذا انقشعت ..

سعيد : (مقاطعاً) ألزم نفسى تقواها !! ..
إنى أعرف منطقكم

العريف : (مستمراً) تنل الدنيا و الآخرة .. فما يدريك من الأظلم ؟

سعيد : لكنك تعرف يا ابن العم من الأظلم

العريف : الأسد الميت خير منه كلب حى لو تعقل
أم سوف تموت كما قد عشت غرير القلب و ذا غفلة
فلتصح قليلاً يا أبله

سعيد : بل أنت مغفل

العريف : (يجر سعيداً) فلتتبعنى فلتتبعنى .. أفلا تعقل ؟

سعيد : (يتخلص منه صارخاً) انصرف عنى .. انصرف

العريف : أنا ذا انصرفت و فى غد سأفيد مالاً فوق مالى
(و هو ينصرف) سأفيد مالاً ليس يحصى

سعيد : أتفيد عمراً فوق عمرك يا غبى ...
لتنفق الأموال فيه
(يذهب مسرعاً)

(يأتى عمر و الحر و أسد من خيمة عمر)

عمر : أنا لا طاقة لى الآن بأن أمكث فى الخيمة بعد
أتركانى ها هنا وحدى قليلاً فى الخلاء

الحر : (لنفسه) رب جنبنا قتال ابن نبيك

أسد : ليس هذا ما يريدون فلا تسأل محالاً
إن رأس ابن على هو ما يرجو يزيد
(بضيق) لم لا يحشد فى حرب الحسين بن على
بعض أجناد أمية ؟

الحر : أجنود الشام تعنى ؟
فلدينا من جنود المصر ما فوق الكفاية

أسد : ليس هذا ما أريد
إنما أعنى جنوداً لا يسلون سيوفاً أو يصبون نبالاً

عمر : (يدرك الإشارة و يقول بحذر)
أى جند يا أسد ؟

أسد : أوَ ما كان ابن هند حين يستدنى الأجل
يبعث السم إلى من يصطفيه فى إناء من عسل ؟!
و يغنى " إن لله جنوداً من عسل "

عمر : (هامساً) ربما كان هنا شمر قريباً .. لا تزد !

الحر : إن فى الجيش عيوناً لا تُعد

أسد : شمر ؟ من هذا .. ؟ و هل آبه به ؟؟
خارجى قاتل محترف

عمر : كان من أخطر قطاع الطريق

الحر : فغدا أخلص أعوان الأمير ابن زياد
و غدا خير عيونه

أسد : إن فى سيفى شفاء لسعاره
(يتحرك و يذرع المسرح إلى الناحية الأخرى)
قسماً بالله لو صادفته يسترق السمع علينا لقتلته
(يخرج و يبقى الحر و عمر وحدهما)

الحر : (لعمر) يا أخى هل أنصحك ؟

عمر : قل و أوجز أيها الحر فقد أرمضنى قول الحسين

الحر : إنما التقوى ربيع الفقهاء
و امتحان لغلو الأغنياء

عمر : (بضيق) و هى زاد الفقراء
ثم ماذا ؟ قل فديتك

الحر : أفلا ترضى بأن يرجع عنا ؟

عمر : سل أميرك !
(صمت) و الحسين بن على قد يرى العودة جبناً

الحر : فلنوجهه إلى حيث تريد
و عليه موثق بالصمت أن يسكت عن أمر يزيد !

عمر : صمته .. ؟ إنه مثل كلامه
و هو مسئول عن الصمت كما يُسأل عما قد يقول
إن هذا الصمت قد يخلع قلب ابن زياد
و يثل العرش من تحت يزيد
فلهذا الصمت يا حر دوى كالرعود

الحر : و إذن يا ابن ولى الله ماذا أنت صانع ؟؟

عمر : فليبايع

الحر : إن هذا ..

عمر : (مقاطعاً) و بهذا يُستذل
(بمرارة) إنه الآن بطل

و أنا .. لا .. أى فرق بيننا ؟!
فإذا بايع صار الناس يا حر سواء فى المذلة !
(ساخراً بمرارة) إنها أحدث أنواع العدالة !

الحر : فإن لم يعطك البيعة ؟

عمر : إذن فلتعطنى رأسه

الحر : أنا بُشِّرت بالجنة
و ليست جنتى فى قتل أولاد النبيين
فما هذا سوى اللعنة

عمر : ما كنت ترى هذا .. فماذا جد يا حر ؟

الحر : على ضوء لهيب النار فى قلبى
رأيت الزيف من حولى
لقد ضاقت بى الدنيا أنا الضارب فى الليل
فيا ويلاه .. يا ويلى من ربى !!

عمر : ستـُذبح أيها المجنون إن لم تعطهم رأسه

الحر : لاح الصبح للمبصر

عمر : و لكنا مساقون لكى نضرب فى الليل

الحر : سأمضى الآن فى صحبى و فى أهلى

عمر : إلى أين ؟

الحر : بعيداً عن لظى الفتنة
(شارداً) لقد بُشرت فى الأحلام بالجنة

عمر : ستمضى دونما طائل

الحر : (فجأة) سأحمل كل أصحابى على الحق
و أرمى موكب الباطل

عمر : أيها الحر تدبر فى الذى تمضى إليه

الحر : بل تذكر أنت عدل الله إذ تمثل ما بين يديه

عمر : (صارخاً) أنا راض يا أخى عن سيرتى !

الحر : فلتدعنى و الرضا الأحمق عما أنت صانع

عمر : أين تمضى أيها الحر من البيعة أين ؟
أنت بايعت يزيداً
عندما كان أبوه داعياً بالمال و السيف معاً

الحر : (غاضباً) بعض هذا يا ابن سعد !

عمر : (مستمراً) سيقول الناس قد بايع خوفاً
و نفاقاً لابن هند
سيقول الناس ما للحر عهد
و لهم و الله حق
فهو ذا أنت نكثت
أنت ذا من بعد ما مات ابن هند قد نكلت .. !

الحر : أنا بايعت على التقوى و لكن ملك الفاسق فينا فاستبد
أنا ما بايعت و الله على قتل برئ
أو على رأس الحسين
لم أبايعهم على الفتك أو الغدر و اهدار الدماء ..

الحر : أنا بايعت على الصدق و هذا كاذب يقتل بالظن و يبطش
حوَّل الشورى إلى تاج و عرش
إنه يحكم فيما منذ شهرين كقرنين من الهول علىّ
حسبه أن أرهب الناس بطغيان الدعى ابن الدعى
لم أكن أعلم هذا كله
حينما بايعته
غير أنى بعد أن ....

عمر : (مقاطعاً) فابق فى الجيش إذن
ثم لا تضرب إذا شئت و لن يلحظها و الله عين من عيونه
هكذا تغدو و لم تغضب أميراً
أو تخن عهد الضمير
ثم تغدو أيها الحر أثيراً عند كل المتقين
و ولياً لأمير المؤمنين
هكذا يرضى عليك السيدان .. !

الحر : (مستنكراً) لست ممن يخدمون السيدين ..
فعلى الآن أن أعمل إما لضميرى أو أميرى ..

عمر : إننى أفهم يا حر الذى يضنى رجالاً من طرازك
يا صديقى لا تطاوع ألمك !
إن آلامك عقباها الندامة ..

الحر : إن آلامى عظام ..
إنـها نوع من الآلام موفور الكرامة
ألم فيه اعتزاز و إباء !

عمر : هكذا تقضى عليك الكبرياء

الحر : إنـها ليست هى العزة بالإثم .. و لكن عزة الحق المعذب
و انتفاض الكبرياء المنتهك

عمر : هكذا تـُهلك نفسك

(صمت .. و الحر يمشى ثم يواجه عمر و يسأله بغتة)

الحر : يا ترى ماذا عسى أن يذكر التاريخ عنا يا ابن سعد ؟

عمر : (صائحاً و لكن فى ذعر)
لا تعد لى ذكر هذا الشئ بعد !

الحر : هو لن يذكرنا
و إذا نحن احتللنا صفحات منه سوداً ..
فلكى يلعننا

عمر : الغِنَى يصنع طيب الذكر للحى فإن مات فسيان لديه كل شئ
الغنى قد يشترى التاريخ .. فالتاريخ ملك للغنى
إنما التاريخ عبد للقوى
(و قد تمالك نفسه)
مع هذا فأنا و الله ما أعبأ به
إنما فاز بطيب العيش من مُتع فى دنياه حقاً و هو حى !

الحر : إنكم قد تشترون الحمد من بعض عبيد الشهوات
إنكم قد تستذلون رقاب الطامعين الأقوياء
إنكم قد تخنقون الكلمات
إنكم قد تسجنون الريح فى عرض الفضاء
إنكم قد تطمسون النور فى جوف الشعاع !
لكن التاريخ أقوى منكم التاريخ حر لا يباع
(يتحرك بعيداً)
أنا ذا أنجو إلى التاريخ منك !

عمر : أنت ماض لهلاكك ..

الحر : لى سؤال قبل أن أذهب عنك ..
يا ابن سعد .. يوم لا شافع للإنسان إلا ما نواه
من ترى يشفع لك .. ؟

عمر : (بيسر) النبى المصطفى صلى عليه الله يا حر و سلم

الحر : و بماذا .. ؟

عمر : (بثقة) إننى من أقربائه ..

الحر : ثم ماذا .. ؟

عمر : و لقد كان أبى من آثر الناس لديه !

الحر : (بمرارة) و لهذا اصطنعوك

عمر : (ثائراً) لا تقل ذلك لى

الحر : (منتفضاً) فتذكر آل نوح يا عمر

عمر : أنا ما زلت على دين محمد

الحر : أنــُرجِّيه و ها نحن أولاء اليوم نغتال بنيه .. ؟
لكأنا نرفع السيف على وجه النبى !!
قسماً بالله لن يشفع لك !
فلتسر أنت إلى النار بجندك
فأنا ناج إلى التاريخ منك
إننى ناج إلى ربى منكم أجمعين ..
إننى أهرب لله بدينى
(ينصرف الحر مسرعاً و صوته فى الخارج يتردد بالجملة الأخيرة)
إننى تبت إلى ربى مما تصنعون
أنا ذا أنجو إلى التاريخ منك ..

(عمر يروح و يجئ بينما يرتفع من بعيد صوت وحشى)

وحشى : (من الخارج) و قتلت حمزة فى أحد !
(يدخل وحشى و هو يترنح متهالكاً من السُكر وراءه بعض رجال عمر بن سعد)
و دفعت جثته لهند و هى ترقص فى النساء
و رأيتها فى فرحة هوجاء تنتزع الكبد
(يدور فى المكان)
و وقفت منتظراً لعلى أقتضى ثمن الدماء

عمر : (صارخاً) يا للشقى ! أغرب و غيب وجهك المنحوس عنى

وحشى : (مستمراً) دفعت مكافأتى إلىّ فما انتفعت بما أخذت
و غدوت حراً غير أنى صرت عبداً للندم

عمر : (بمرارة و أسى و خوف) يا للندم !!

وحشى : (مستمراً) حتى إذا ما كان يوم الفتح جئت إلى الرسول
و وقفت أبكى لا أقول و لا يقول
و بكى الرسول و تذكر سيد الشهداء حمزة
و وددت لو أنى أجود له برأسى كى يحزه
ثم انحنيت فما التفت
عفرت رأسى بالتراب فما التفت
خذ ثأر حمزة يا نبى الله منى و التفت لى
حطمت صدرى بالحديد و بالصخور فما انتفعت !
أدميت رأسى فوق جدران الصوامع و الجوامع
أذريت حبات الفؤاد على المدامع
و ذرعت أرض الله لكن ما هربت
ما زال صوت المصطفى كالرعد فى أذنى أيان اتجهت :
" أنا لن أرى وجه الذى قتل الأحبة ! "
يا للشقاء الدنيوى و يا لخوفى من عذاب الآخرة
أنا ذا أعيش اليوم فى طوفان خمر
و تظل فى الأعماق نار تستعر
هول من الندم المعذب يتقد
لم لا إذن لا تسحق الكبراء يا ربى بصاعقة الندم ؟
أوَ لا تراهم يعدلون عن الحسين
إلى ابن آكلة الكبد ..
أواه لو أنى أصول مع الحسين
لكننى ناديته فأشاح عنى مرتين ..
يا للحسين .. !

عمر : (يصرخ فى بعض رجاله)
فلتطرحوا هذا بعيداً ..
أخمدوا صوت الشقى
أخفوه فى قاع الفرات ليستريح من العذاب الدنيوى

(يسرع عمر إلى خيمته - يتجه الرجال إلى وحشى و لكنه يهرول مسرعاً مترنحاً و يخرجون وراءه)

رجل (لآخر) : كيف الخلاص من العذاب الأخروى !

وحشى : (و هو يخرج) لمَ يعدلون عن ابن فاطمة إلى أبناء آكلة الكبد ؟

(ترتفع أنات من ناحية خيمة نساء الحسين)

الأصوات : العطش .. العطش ..

(تخرج زينب و سكينة من باب الخيمة)

سكينة : جف يا عمة حلقى .. أو لا ماء هنا ؟!
(تنبش الصخر)
أنا ذا أنبش فى الصخر و لكن دون جدوى

زينب : آه ما أفظع أن أسمع هذا حين لا حيلة لى
فلتمصى حصوات الرمل يا بنت أخى

سكينة : آه .. من يرجعنى الآن إلى منزل جدى !

زينب : لم تعد تنفعنا آهاتنا الحرَّى بشئ يا سكينة

سكينة : قد غدونا فى العراء
و بنات ابن زياد فى القصور الآمنة

(الحسين قادماً من المقدمة من ناحية اليسار متجهاً إلى معسكر عمر .. زينب تتأمله و هى على المرتفع)

زينب : (صائحة) ويلاه .. إنك سائر للموت رغماً عنك ويلى ..

الحسين : (صائحاً و هو يتوقف ملتفتاً) ويل لغيرك يا أخية

سكينة : أبتاه كيف العيش بعدك إن مضيت ؟

الحسين : لا تـُشمتى الحساد فينا يا بنية

سكينة : (تكتم نحيبها) ويلاه من نوب القضاء

الحسين : عندما يستحكم الطغيان يهذى العقلاء
فإذا لم يعصم الله تذل الكبرياء
فاسكتا كيلا تقولا بعض ما يزرى بنا
(يمضى إلى خيمة عمر)

زينب : (فى دعاء و هى تتابعه بنظراته)
نجِّه يا رب ممن ملئت أفواههم مكراً و كيداً
نجِّه يا رب ممن عهدهم زيف و كذب و رياء

سكينة : (فى دعاء) نجنا يا رب ممن غلظت أكبادهم
حتى غدت مثل الصخور

زينب : (مستمرة) نجه يا رب ممن أصبحت أجسادهم مثل القبور
نجه يا رب ممن ذبلت منهم قلوب فى الصدور

يا إلهى أنت إن لم تحفظ الدنيا بعدلك
فهى لن يجديها أن يسهر الحراس بعدك
(تدخلان الخيمة)

الحسين : (على باب معسكر بن سعد) يا ابن سعد .
أفلا تخرج كى تسمع منى ؟
(منادياً) يا عمر . .

عمر : (خارجاً) أنت قد أغلظت لى منذ قليل
فلماذا جئتنى .. ؟

الحسين : كان موسى يطرق الباب على فرعون فى كل نهار
بضع مرات عساه يهتدى !

عمر : (بغلظة) أترانى مثل فرعون .. ؟

الحسين : و أنا لست كموسى
إنه أفضل منى و هو أزكى الرسل !

عمر : و أنا أهون من فرعون شأناً يا رجل !

الحسين : (برقة) يا ابن سعد إنما عز على مثلى أن يبغى مثلك

عمر : أأنا باغ إذن !!
أترانى باغياً !
(برقة) يا للحسين !

الحسين : يا ابن سعد نحن حاربنا معاً
و قهرنا الظلم فى كل مكان
و رفعنا راية الإنسان فى وجه القدر
و مضينا فى ركاب واحد
نرفع الآلام عن روح البشر
نحن حاربنا معاً ، و تعذبنا معاً
كم حلمنا عندما كنا صغيرين معاً
و تعلمنا معاً
و عملنا كى يسود العدل فى الناس معاً

عمر : (فى أزمة) كان هذا عندما كنا كما نرضى و كان الدين ديناً

الحسين : ما الذى يجعل هذا الدين شيئاً غير ما كان قديماً يا عمر ؟

عمر : حاجة الدولة و العبء الذى زاد علينا يا حسين !

الحسين : إن هذا كله ليس هو العزة إن قام على إهدار حق

عمر : إنما العزة لله جميعاً يا حسين بن على !

الحسين : لم تزل تذكر قول الله .. مرحى .. أفأنسيت النبى ؟

عمر : أنت ذا تحكم بالكفر علىّ
إننى لست كفرعون و ربك

الحسين : ما أنا قاضيك لكنك قد تظلم نفسك
و أرى من واجبى أن أهديك
أنت مأخوذ بفعلك

عمر : إنما تصنع ما تصنعه اليوم لإشباع غرورك !

الحسين : لا .. معاذ الله مالى و الغرور
(صمت) إنما المغرور من غرَّ بكم

عمر : إنما تشعل ما نام من الفتنة كى يرضى ضميرك

الحسين : إن عين الله لو تعرف تـُدعى بالضمير

عمر : فتذكر واجب الله عليك

الحسين : أإذا أديت لله ديونى فأنا أشعل فتنة !

عمر : دع ديونى و ديونك

الحسين : قد قضى الله علينا أن نجير المستجير
ليس للمؤمن أن يسكت عن طغيان سلطان يجور
هكذا نحن تعلمنا معاً

عمر : إن أهل الرأى راضون جميعاً
فلتقل لى بعد هذا ما الذى تخرج له ؟!

الحسين : (متصاعداً فى ثقة) سد أبواب الضلال
استغاثات العدالة
انتشال الحق من غاشية الظلم المخيفة
شرف الإنسان جاه الدين ، نصر الضعفاء

عمر : (ساخراً) أأمين الحق فى الأمة أنت ؟
أمناراً لهدى الخلق جُعلت ؟

الحسين : (جاداً) إن هذا واجب الإنسان فى دنياه أياً كان قدره

عمر : كل إنسان و أمره

الحسين : فليكن منكم رجال يتناهون عن المنكر فيما بينكم

عمر : لم يعد فى هذه الأرض رجال يطلبونك
أنت من عصر قديم قد تولى و انقضى ..

الحسين : (حزيناً) و أتى عصر البدع !

عمر : (مستمراً) جئتنا من خارج التاريخ كى تـُرمضنا
جئت كى تنتزع الثروة منا
ها هم الناس كما تبصرهم أسرى لخوف أو طمع
فسيوف الطامعين اليوم قد سُلـَّت عليك

الحسين : و سيوف الخائفين !؟

عمر : إنها تهتز فى أغمادها مرتعدة

الحسين : فإذا هم شهروها حذراً من بطش حكام عتاة ظالمين
فعلى من يقع الوزر ؟ عليهم أم عليكم

عمر : (منفجراً) كنتَ فى أرض الحجاز
آمناً فى ظل جدك
و مهاباً كملك

الحسين : (مقاطعاً) أنا لا أطلب مُلكاً أو ولاية
إننى أنشد إصلاحاً و رشداً و هداية

عمر : (مستمراً) كل شئ فى يديك :
احترام الناس و الإجفال منك
الرضا و الحب و النعمة لك
و قلوب الناس و الأحلام حولك
ثم ميراث النبوة ..
أى جاه بعد هذا أو مفاز ؟!
فلماذا جئت تستل سيوفاً تطلبك ؟

الحسين : (فجأة) أنت .. هل تنفس ما لى فى قلوب الآخرين ؟

عمر : (مضطرباً) أنا ؟! .. لا .. لا أكرهك
غير أنى .. ليس فى مقدور مثلى أن يحبك
أنت قد أحرجتنى .. أثمَّتنى

أنا إن طاوعت نفسى فلقد أخسر دينى ..
و إذا راعيت دينى فلقد أخسر نفسى
و لقد أفقد رأسى
إنما تحرمنى الرى و جرجان و طيب العيش إن أحن عليك
إنما تفسد لى ما أنا موعود به إن لنت بك ..
ثم إنى .. أو لا تفهم منى ؟!!
إنها أمنية العمر .. ألا ترحمنى ؟

الحسين : أنت بين النار و الجنة فاختر ما يروقك

عمر : ليس لى بعد خيار فيك يا سبط النبى
ما خيار بين حد السيف أو عرش الولاية !!؟
إن هذا لهو القهر بعينه .. !

(عمر لا يواجه الحسين .. و هو يحول عنه عينه دائماً)

الحسين : (الحسين يحاول أن ينظر فى وجه عمر و لكن عمر يدير وجهه)
إن تخيرت طريق الله فالله لطيف بعباده

عمر : (هارباً) و أنا أطمع فى رحمته يا ابن على
سأصلى بعد أن أظفر بالرى و جرجان و أبكى
و أصلى فعسى يغفر لى

الحسين : هكذا .. ؟؟ بيع على الله تعالى ؟
أنت أصبحت غشوماً

عمر : (مستخفاً) لم يكن موسى إذا ما جاء فرعون غضوباً
كان و الله حليماً
(ضاحكاً فجأة)
أفتدرى لم أسموه كليماً ؟

الحسين : أنت و الله كفرعون و قد تلقى مصيراً كمصيره

عمر : (منفجراً) أنت منذ اليوم لن تضبط مُلكاً بصلاة و صيام
و قيام و تعبد

الحسين : فلتواجهنى بعينيك ففى أغوار عينيك عذاب

عمر : (مستديراً بكبرياء) تـُحكم الدولات منذ اليوم
بالسيف على هام الأباة
و بإحناء الرقاب
و ببذل المال للراغب فى جاه الحياة
ثم يأتى بعد هذا كله أمر الصلاة !

فهى فى بعض قصور الملك حلية
و على أية حال فهى ليست لقصور المُلك لكن للمساجد
هى ليست لأمير قادر .. بل عجز زاهد
المساواة التى تدعو لها أحلام عابد .. !

الحسين : إن هذا القول ما نادى به حتى أشد الناس بطشاً فى أمية
هكذا أصبحت ؟!
يا للعار !! قد ضيعت و الله أباك !!

عمر : انصرف عنى فلا حيلة لى فى كل أمرك
ليس فيما بيننا و الله منذ اليوم إلا ساحة الحرب .. فقاتل
قسماً بالله لن ألقاك إلا فى القتال
و هو و الله قتال تسقط الهامات فيه
و يطيح السيف فيه بالأنامل
أنا لن أبقى منكم واحداً حتى الصغار
و سيغدو نسوة البيت ثكالى و أرامل

الحسين : (فى أسى) تدبر إلى أين تمضى إذن .. ؟

عمر : قد حسبنا حساب كل الأمور

الحسين : إلى كم من الماء تحتاج بعد
لتغسل عن مرفقيك الدماء ؟

عمر : (هادئاً متحدياً) قطرات من بحر جود الأمير !

الحسين : و أى القلاع ستمنع أذنيك
أن تسمعا لعويل الأرامل ؟

عمر : قلعة فى الرى أو جرجان .. أو ما شئت من دولتنا

الحسين : و كيف ستنزع رجع النواح
إذا هو جلجل فى مسمعيك !
و كيف ستخفى مرائى الأسى إن غشت ناظريك ؟

عمر : (ساخراً متحدياً أيضاً) بعزف الجوارى و رقص القيان
و قرع الكئوس و ضحك النديم

الحسين : و كيف تواجه عين البرئ و بؤس اليتيم ؟

عمر : (ساخراً) لماذا أواجه !! لا .. لن أواجه !

الحسين : (حزيناً) إلى أين تهرب من نظرة
تجمد فيها شعاع النجوم ؟

عمر : (ساخراً) سأدفن قتلاى تحت التراب
فآمن من نظرات العيون
و ما يطفئ النار مثل التراب

الحسين : ألست تصير لهذا التراب
و إن نلت ما هو فوق السحاب
ففكر إلى أى ذل تصير ؟

عمر : و فيما انشغالى بأمر المصير .. ؟

الحسين : (منفجراً فى ألم) ما كنت لأعرف من قبل
أن ضمير الرجل يموت
و يبقى الرجل مع الأحياء
إنك تعرف أنك تدلج فى الباطل
أنقذ نفسك
حطم سجنك
قل كلمة حق مرة
لا تجعل صدرك قبر الكلمة
الكلمات تموت هنا فى صدرك هذا يا ويلك ..
لتصبح قبراً يتحرك
و يسيل الدود على جسدك
يقتات بأنبل ما عندك
و تحسب نفسك حياً بعد ؟
ما أنت بحى
سبحان الحى .. الحى .. الحى :
(يفلت مسرعاً و يعاود الصعود إلى المرتفع و يدخل عمر إلى خيمته بينما تخرج
زينب و سكينة و النساء من على المرتفع)

زينب : (تدعو الله و عيناها على الحسين)
يا جدى الغالى سل الرحمن يكلؤه بعين رعايته

سكينة : و بنفحة من لطفه فى هذه البيداء .. حيث يجف من عطشى دمى
يا ماء زمزم قد عطشنا ها هنا .. هل قطرة من زمزم !

(الحسين بلغ درجات المرتفع .. حيث يسرع إليه صحبه بشر و سعيد و برير و حبيب و ابن
عوسجة و نافع و زهير و رجال آخرون و زينب و سكينة جالستان بعيداً أمام الخيمة)

سعيد : قد فرغنا من حفر خندقنا الآن و فاضت أعرافه بالهشيم

الحسين : أوقدوا النار لا يخوضوا إلينا بعد الأخلال هول عظيم

برير : (صائحاً فيمن وراء المسرح) أوقدوا النار ..

ابن عوسجة : (صائحاً) أوقدوا فى الهشيم ..

زينب : (فى دعاء) يا إلهى يا رب إبراهيم فلتجعل النار برده و سلامه

(يتصاعد دخان و لهب من بعيد .. فيقبل بعض رجال عمر من المنخفض من شمر و الحر)

شمر : يا حسين .. أتوقد النار .. ؟ مهلاً ..
لا تعجل بالنار قبل القيامة

الحسين : من هذا الناعب وسط التيه ؟
من هذا الناعب فى الليل ؟

شمر : أنا ذا شمر من يقتلك بإذن الله
لكى تصلى النار الكبرى

الحسين : سيصلاها منا الأشقى

شمر : فستصلاها أنت إذن
يا من شق عصا الطاعة

الحسين : أنت الأولى .. أنت الأولى

عمر : بل أنا مُرسلك بإذن الله إليها

سعيد : (لشمر) بإذن الله ؟ يا ابن المعزى

زهير : لا أذِنَ الله لمثلك إلا بجهنم

بشر : أبشر بالخزى و بالنار

سعيد : أتقتله يا ابن البرصاء ! فلا أبيك الفـَرَّار

الحسين : سعيد .. أمسك

سعيد : (لشمر و هو ما زال منفعلاً) هل جاءت بك أمك من قرد
أم من تيس أم خنزير .. ؟
يا ابن البوال على عقبة

الحسين : حسبك حسبك يا ابن سعيد
جئنا نهدى لا نشتم

ابن عوسجة : (للحسين) الأبرص فى مرمى سهمى
أفتأذن أن أرميه بسهم ؟

الحسين : أكره أن أبدأ بقتال

زهير : الأبرص جبار فاسق

نافع : هو شر الأعداء جميعاً

ابن عوسجة : فإذا سقط انهزم الجند

الحسين : ما كنت لأبدأهم بقتال و أنا لم أعذرهم بعد

(الحر يتحرك إلى المرتفع فى اتجاه الحسين)

شمر : (مهازلاً للحر) عساك ستبدأه بالحرب

الحر : (مرتعداً) دعنى .. دعنى
أغرب عن وجهى

عمر : (لنفسه) لكأنك محموم يا حر
شريد النظرة منذ الأمس
أتذهب كى تسقى فرسك ؟
(متمسحاً به)
إن كنت مريضاً فلترقد ..

(الحر صامت لا يتحرك .. شمر يخرج)
(الحر بدأ يصعد المرتفع متقدماً نحو الحسين)

ابن عوسجة : (صارخاً) لا تدنُ منه فأنت كافر

الحسين : الله أعلم بالضمائر

الحر : (يتوقف وحيداً) اللهم إليك أتوب
الله إليك أنيب

أصوات النساء : العطش ... العطش

الحر : (لنفسه مرتعداً) أنا روعت بنات نبيك فلتغفر لى
أنصت لبكائى يا ربى ..
و بظل جناحيك استرنى
أصبحت مخيفاً للأطفال رهيباً مثل وحوش الغاب

زينب : (صائحة من أمام الخيمة) أيها الجبار
عد من حيث جئت
ابتعد عنا ابتعد

الحر : (مستمراً و هو يرتعد)
دفعتُ بقرة عين نبيك بين المخلب و الأنياب
يا رب اغفر لى ذنبى
و اجمعنى بابن الزهراء
فى واسع رحمتك القدسية يا ربى
و رغائب مذخور ثوابك
(يقترب من الحسين)

ابن عوسجة : أنت يا أشجع من يضرب فى الكوفة بالسيف لماذا ترتعد ؟

سعيد : (يشهر سيفه) ابتعد يا أيها الذئب ابتعد

الحسين : اتركوه يقترب

الحر : (للحسين فى خشوع)
أنا ذا الحر الذى جَعْجَعَ بك
أنا من أنزلك الأرض التى ترتهنك
لم أكن أحسب أن القوم يبغون هلاكك
فأنا ذا تائب لله ما بين يديك
أترى لى توبة إن أنا جاهدت معك ؟

الحسين : رحم الله امرؤاً تاب و أصلح

ابن عوسجة : (يهبط إليه مسرعاً) يا مرحباً بالحر أهلاً
يا قائدى المغوار فى كل المعارك ضد أهل الشرك .. أهلاً

الحر : أنا ذا أعود لكى أقاتل يا ابن عوسجة وراءك من جديد

الحر : (يعانقه و يكون سعيداً قد أغمد سيفه تماماً)

سعيد : (يعانقه أيضاً) يا مرحباً أهلاً و سهلاً
اليوم أشعر أننى حقاً سعيد

الحر : ادع لى ربك يا سبط الرسول (ينحنى أمام الحسين)

الحسين : فلتدعُ أنت فلن يرد الله دعوة من يتوب و من ينيب
و لأنت مثلى عند رب العرش منذ أتيت تدفع عن جلال شريعته

الحر : الله جاد على العصاة برحمته
أتراه يدركني بلطف رعايته ؟
(صراخ خافت من خيمة النساء)
العطش .. العطش

الحسين : الله يرحمنا جميعاً ما بذلنا جهدنا فى طاعته

ابن برير : (محبباً للحر) و بذاك يكتمل الرفاق على الطريق

الحسين : عاد و الله فتانا الحر حراً

الحر : أترى تأذن لى فى كلمات لبنى قومى عساهم يهتدون

الحسين : قل كما شئت هدى الله بأمثالك من ضل السبيل
(يدخل خيمة النساء)

الحر : (و هو يتجه إلى مرتفع ينادى) :
أيها الناس .. تعالو أقبلوا كى تسمعونى
يا بنى قومى .. تعالوا ..
أنا ذا الحر الرياحى يقول

(همهمة وراء الستار و حركة خافتة تتزايد بين أصحاب الحسين يتجه سعيد إلى بشر الذى يجلس صامتاً حزيناً .. صراخ النساء يخفف قليلاً)

الصراخ : العطش .. العطش

سعيد : (مداعباً) ما الذى يشرد بك ؟
ما الذى استولى على أقطار لـُبِّك ؟

بشر : قد غدونا الآن سبعين فحسب !
بعد ما كنا الوفا يا سعيد

سعيد : (مستمراً مداعباً) أم ترى تحلم لو أنك فى مخدع زوجك ؟
ربما خفف برد من ثناياها تباريح العطش !
(بألم) آه يالى و العطش ..

بشر : يا سعيد ليست الساعة هزلاً ..
إنها ساعة حزن و أمل ..

سعيد : أأنا صاحب هزل ؟

الحر : (ينادى قومه من ناحية أخرى) :
أيها الناس أنا الحر الرياحى ..

و لى عندكم حق و عهد
(لا يظهر له أحد)
أفلا يظهر لى منكم أحد ..

سعيد : (لبشر) أى شئ هو أدعى لسرورى الآن مما نحن فيه ؟

بشر : ليس فيما حولنا شئ يسر ..
إنه لـَلعطش المهلك .. و الموت النكد !

ابن عوسجة : إننا إن لم نمت فى حربنا ..
برز الموت إلينا فى المضاجع

نافع : أترانا نتقيه ؟

سعيد : (مكملاً لبشر و الحسين يخرج الآن من الخيمة)
بل أرانى الآن قد هيأت نفسى
لعناق الحور فى الجنة وحدى
فاحسدونى
ليس ما بينى و بين الحور إلا أن يميل القوم
يا بشر علينا فنميل ..
فإذا بى ضارب ما أمسكت يمناى بالسيف ، إلى أن يقتلونى
هكذا يا بشر و الله العظيم ..
و إذا بى زائط ما بين ولدان و حور
و نخيل و نـهَر (يضحكون)
فأروِّى عطشى بالخمر فى الجنة أو قل برحيق الكاعبات

(يضحكون و الحسين يقف بعيداً عنهم وحده)

الحر : أيها الناس .. بنى قومى .. اسمعونى
(يظهرون و معهم شمر و عمر)

الحسين : (ضارعاً لله) يا رجائى فى كل كرب و شدة
أنت لى فى كل أمر عُدة ..

(تخرج زينب و سكينة من خيمة النساء و تقفان بالباب)

زينب : (للحسين من مكانها)
أنت يا أروع ما خلفه الماضى لنا
أنت يا أنبل ريح هب من حاضرنا
أنت يا ريحانة البيت و يا ركن المنى
أنت يا إشراقة الرحمة و العدل
على شطآن مستقبلنا
أنت يا نفحة لطف الله رفـَّت فى هجير حولنا

سكينة : ليتنا ... لكن متى قد نفعتنا ليتنا ؟

الحر : (من ناحية أخرى)
أيها الناس اسمعونى .. ثكلتكم أمهات زانيات فاجرات ..

الحسين : (صائحاً للحر) لا .. أبيت اللعن لا تشتم ..
فما من أجل هذا قد خرجنا

الحر : إنهم يا ابن رسول الله لا حرمة ترعى عندهم
(للناس) قد دعوتم رجلاً ليس على الأرض فتى أصلح منه
جاءكم يرفع عنكم ربقة الذل و أغلال المظالم
أنتم استصرختموه
أإذا جاء لكى ينصركم أسلمتموه !؟
أنتم أخرجتموه من بلاد كان فيها آمناً بين ذويه
و زعمتم أنكم بايعتموه
و زعمتم أنكم لن تهنوا إن جاء حتى تبذلوا الأرواح دونه
ثم ها أنتم أولاء اليوم جئتم تقتلونه ..

شمر : أنت قد أبرمتنا يا حر فأسكت

حبيب : فلماذا تأخذون اليوم يا قوم بكظمه ؟!

زهير : و لماذا قد أحطتم ببنيه و نسائه !؟

برير : فغدا مثل الأسير المرتهن ..

الحر : اتركوه يمشى فى الدنيا العريضة

ابن عوسجة : لهف قلبى يا حسين .. !

برير : لعنة الله عليكم يا عبيد الشهوات

الحر : هو ذا ماء الفرات العذب يجرى سائغاً للشاربين
تلغ الحيتان فيه و الخنازير و حتى الكلب لا يُدفَع عنه

برير : (يغالب البكاء) و بنو بنت رسول الله تشويهم تباريح الظمأ

الحر : (مسترسلاً) فلماذا تمنعون الماء عنهم ..
لعنة الله عليكم

شمر : قسماً بالله لو أصبح وجه الأرض ماء
و أنا مالك أمره

ما أصابوا منه قطرة

الحر : لا سقاك الله يوم العطش الأكبر إلا بشراب من حميم

عمر : فليبايع ليزيد ثم يشرب

أصوات النساء : العطش ... العطش

شمر : فليسر لابن زياد فيرى مولاى رأيه

الحر : (لقومه) ثكلتكم أمهات زانيات
إن مشيتم خلف هذا و حشرتم للجحيم

شمر : لن يذوق الماء إلا غصة من بعد غصة

الحسين : ما عساكم تطلبون اليوم منى ؟

شمر : نحن لا نطلب شيئاً غير رأسك

عمر : أو فسر فى ركبنا نحو الأمير ابن زياد

الحسين : فإذا استسلمت للموت أتعفون صغارى و نسائى و الرجال الآخرين ؟

عمر : فلتستسلم

الحسين : أنا ذا أمامكم خذونى عنوة إن تستطيعوا
فلتقتلونى إن قدرتم
و اسقوا النساء الظامئات
و أطفئوا عطش الصغار الأبرياء

زينب : (منتفضة) لا بل فداؤك كل ما فى هذه الدنيا الدنية
من صغار أو نساء
إنا احتملنا فوق ما يتحمل الجبل الأشم
لكى نصونك
لا بل يموت الكل دونك
أتموت أنت ؟
لا بل فداؤك كل ما طلعت عليه الشمس يا رجل الحقيقة
من ذا إذن يمشى بنور الحق فى سود الليالى الداجية !؟
من ذا يهب إذا ادلهمت غاشية .. ؟!
فى كبرياء الشر يحترق المساكين الضعاف و يصرخون
فمن يجير ؟
لا كانت الدنيا و لا كان الزمان إذا انتهيت
بالله ما طعم الحياة و ما انتفاع الناس بالدنيا

إذا قتلوك أنت ؟
لا بل تعيش على المدى ..
و تظل أنت إمامنا المرجو أنت
(تكاد تبكى)
من ذا لأهل البيت بعدك ؟
من يطعم الفقراء خبزك ؟
لا كانت الدنيا و لا كان الزمان و لا الوجود إذا فنيت !
(باكية) لا بل نموت جميعنا عطشاً و صبراً يا أخى
و تعيش أنت !

الحسين : لِمَ تبكين رعاك الله يا أختى ؟ اسكتى
أدميت قلبى ... (صمت)
لن أسلِّم

زينب : دمعات أطفأت لى يا أخى حر جهنم ..

سكينة : و أنا جفت دموعي يا أبى من ظمأى
آه لو ترجع بى الآن إلى منزل جدى

عمر : فلتستسلم

سكينة : يا أبى قد يبست منى عروقى
و أنا أحلم بالماء .. لقد كدت أجن ..

زينب : فلتمصى هذه (تعطيها حصاة)

سكينة : قد مصصنا حصوات الأرض يا عمة لكن دون جدوى

عمر : أنت إن أسلمتنى نفسك تسلم يا حسين

أصوات النساء : العطش .. العطش
نحن ظماء .. نحن ظماء
جف الحلق و ما من ماء
فى جوفى اللهب .. أما من ماء ؟!
العطش .. العطش !!

عمر : (للحسين) فلتستسلم !

صوت طفل : أنا عطشان
أنا عطشان

النساء : العطش .. العطش ..

سكينة : جرعة ماء أمنح فيها نصف حياتى

عمر : فلتستسلم نسقِ صغارك و النسوة

الحسين : يا رب العرش
(صارخاً مندفعاً فى التيه) ... العطش ... العطش

عمر : أنت المسئول عن الأطفال إذا هم ماتوا فى العطش

سكينة : حفرنا الصخر
و بعض الصخر يلين فيخرج منه الماء !

زينب : قلب الظالم ليس يلين
أقسى من كل الأشياء

سكينة : أما فيهم رجل مسلم ؟

زينب : (صارخة) وا جداه !! وا جداه .. !

الحسين : مهلاً أخية فالبكاء طويل

النساء : العطش .. العطش

عمر : فلتستسلم نسق صغارك و النسوة ..
سيموتون هنا عطشاً
و تأبى أنت و تستكبر
أنت المسئول أمام الله إذا هلكوا

سكينة : يا أبى قد صار قلبى كشموع
يتساقطن على وهج الظمأ
فلتعد بى يا أبى الآن إلى منزل جدى

الحسين : لا تقولى بعد ما ينقص قدرك ..
(لزينب) أسكتيها يا أخية

زينب : سترانا مثل ما تطلب منا و نحب

سكينة : لسانى يلتصق بحلقى ... عروقى يبست يا عمة

الحسين : (ضارعاً) يا رب اكشف عن أهلى تلك الغمة
يا رب لمياه الراحة أوردنى
لمراع خضر أربضنى
فلترحمنى ...

عمر : (صارخاً) فلتستسلم

الحسين : أما بعد فقد أعذرت

عمر : لن نسمع شيئاً يا ابن على

الحسين : ختمت مطامعكم على أسماعكم
ملأ الحرام بطونكم

عمر : فلتبايع ليزيد ثم قل كيف تشاء
نحن بايعنا جميعاً فلماذا لم تبايع أنت وحدك ؟
ألتمتاز علينا ؟
لستَ أغنانا و لا أفضلنا
إنما أنت فقير
و لهذا ثرتَ كى تنتزع الثروة منا
إنما تخرج عما شرع الله لنا ..
إنما تدعو إلى تعطيل أحكام كتاب الله فينا يا رجل

الحسين : أأنا عاص لرب العرش ؟ فيما جئت أدعوكم إليه
من صلاح و مساواة و عدل ...

عمر : رفع الله بنى آدم بعضاً فوق بعض
درجات يا حسين
فلماذا قمت تدعو للمساواة إذن ؟
هكذا نغدو جميعاً فقراء ...
و يصير الكل فى البؤس سواء ..

رجل : كيف يغدو و هو يدعونا إلى هذا إماماً و أمير المؤمنين ؟

الحسين : يا عصبة الأثام كيف تحرِّفون ؟
يا نابذى الكلمات يا من تسقطون على المنافع كالذباب
أوَ بعد ما قد حرر الإسلام روحكم فسرتم فى الهداية
تستعبد الشهوات قلبكم و تدفعكم إلي طرق الغواية ؟
سحقاً لكم من غادرين مكذبين مضلِّلين مضلَّلين
أنا ما أتيت سوى لأنصركم ..
فهل أنتم بهذا خاذلىِّ ؟
و لكى أزيح عن الرقاب الشم أغلال الطغاة
أنا ما أتيت سوى لأملأ كل دار بالمحبة
و لأملأ القلب المفزَّع بالمودة و السكينة
ما جئتكم إلا لأرفع عنكم حيف الولاة
إنى أتيت أزيل آزفة الخطوب عن الضمائر
و أزيح أطباق الظلام عن البصائر

إنى أتيت لكى أرد الهول عن باب المدينة
إنى أتيت لأنقذ البسمات قد خُنقت على وجه الصغار
فلتنظرونى من أكون و من يكون مضللوكم ؟
يا خاذلىَّ و قاتلىّ لكى تقووا قاتليكم
أدعوتمونى كى أقوى ظالميكم ؟
أدعوتمونى كى أزل و كى أبيع حقولكم ؟
أدعوتمونى كى أبايع للظلوم المستبد ؟
يأبى علىَّ الله هذا و الحجور الطيبات
و دعوة الحق المصونة
و مصارع الشهداء من آبائكم
و ملاحم السلف العظيم
عهدٌ علىَّ إلى أبى و إلى النبى و لن أخونه
أن آخذ الحق الهضيم و أقهر الجور الغشوم
ألا أنام عن المظالم
أن أنصر العدل المطارَد
أن أحمى الضعفاء من بطش العتاة الأقوياء
أن أفضح الزيف المهين و إن تحصن بالعروش
و إن تقنـَّع بالغمام
أن أسحق الكذب المعربد
فإذا أبيتم أن تموتوا فى الكرامة و الإباء
و رضيتم عيش الذليل المستضام
فالله فيكم ..
رب فاحبس عنهمو قطر السماء

عمر : ها نحن نشرب يا حسين و أنت ظامئ

الحسين : مزقهم إرباً .. كما مزقت عاداً أو ثموداً

شمر : بل إننا لـَمُمزقوك

الحسين : فرقهم يا رب تفريقاً
و لا تجمعهم إلا على نهج الصواب

عمر : لا بل تفرق عن أبيك رجاله
و مبايعوك مُسلِموك

أصوات النساء : العطش .. العطش

عمر : فلتستسلم

الحسين : أنا ذا أمامكم .. فماذا تبتغون سواى
فلترموا علىَّ نبالكم
و اسقوا النساء الظامئات

اسقوا الصغار الأبرياء

عمر : و جدك ليموتن جميعاً من ظمأ إن لم تستسلم ..
فاستسلم !

الحسين : أنا أستسلم ؟ يا للكلمة .. !!
أنا أستسلم .. !!

زينب : (صارخة فى فزع) أبداً .. أبداً .. لا تستسلم

الحسين : ما يبغى القوم سوى رأسى
و أنا الميت .. أنا ذا الميت .. فامضوا عنى
فأنا سأحاربهم وحدى
و انجوا أنتم

زينب : لا تستسلم

سكينة : إنى أستحلفك بجدى .. لا تستسلم

زينب : بجرح أبيك يؤج دماً فى أرض الكوفة لا تستسلم
بشرف الكلمة لا تستسلم
بعمك حمزة لا تستسلم
بعزة دينك لا تستسلم
بذكرى جدك لا تستسلم

عمر : فلتستسلم
سيموت صغارك فاستسلم

شمر : سيموت نساؤك من عطش .. فلتستسلم

سكينة : (مفزعة) أبتِ كلا لا تستسلم

(زين العابدين يأتى مندفعاً شاهراً سيفاً)

زين العابدين : أو لسنا نحن على الحق ؟ ..
سنموت فداءك يا أبتِ

الحسين : أنت مريض .. عد لفراشك يا ولدى

عمر : سيموت صغارك يا مسكين
فإن أسلمت لنا أمرك

شمر : سقينا النسوة و الأطفال

عمر : و عدتم من حيث أتيتم

زينب : (للحسين) أَلِنَسْلَمَ نحن تستسلم ؟!
فإذا استسلمتَ فمَن يَسلم !؟

الحسين : (وحده فى التيه) إنى أعوذ به تعالى
أن أضل على هداه
أو أن أحس بحاجة و أنا أعيش على غناه
أو أن أضام و أمر هذا الكون له !!
(يأخذ بيد ابنه زين العابدين و يتجه إلى الخباء)
(مسرعاً) ابنىَّ زين العابدين .. أدخل فنم ..
و الله يرعانا بلطفه

زين العابدين : قد كان جدك يا أبى يحمى رسالته بسيفه ..

(يدخلان إلى خباء النساء)

عمر : سلِّم .. سلم

أصوات النساء : لا تستسلم

زينب : بشرف الله خرجت بنا لتدافع عنه لا تستسلم

أصوات النساء : لا تستسلم

الحسين : (يعود منفجراً شاهراً سيفه)
هذا سيف رسول الله تقلدته
سيف زلزل ركن الباطل
سيف فجر عصر العدل

(يسقط سهم على المرتفعات)

عمر : إنى لأول من رمى فلتشهدوا عند الأمير
(لشمر)
أبلغه أنى جاهِد فى أن أبيد بنى على

برير : و أبوك أول من رمى بالسهم فى الإسلام
يا لك من شقى

زهير : قـُضى الأمر أتأذن لى فأبارز يا ابن رسول الله

الحسين : لن نبدأهم بمبارزة حتى يدعو داعيهم

(تتوالى السهام على المرتفعات)

ابن عوسجة : توالت رسل القوم إليك فرد تحيتهم بالمثل !

برير : يا ابن سعد لِمَ أرسلت النبالا ؟

نافع : هكذا استعجلتَ و الله القتالا

الحسين : كفَّ هذا النبل عنا يا ابن سعد فنصلى
أم ترى تمنعنا حتى الصلاة ؟

شمر : صلِّ كما شئت فلن يقبلها الله تعالى

سعيد : و صلاتك تُقبَل يا خمَّار
أصلاة إمام الحق الصالح
لا تُقبَل يا ابن المعزى ؟

زهير : أترى تأذن لى يا ابن رسول الله أن أبرز له ؟

الحسين : (حزيناً) احتسب نفسك لله و سر
(فجأة صارخاً)
يا صديقى لا .. انتظر .. لا .. انتظر

برير : بأبى أنت و أمى لِمَ هذا الانكسار ؟
لمَ هذا الحزن من فوق محياك النبيل ؟

الحسين : أخاف عليكم إذا ما ذهبتم
و أنتم هم القلة الصالحون
أخاف على النور أن ينطمس
أخاف على الحق أن يندرس

ابن عوسجة : ألسنا على الحق يا ابن الرسول ؟

الحسين : بلى و الذى خلق الكائنات
و ما من ملاذ سوى رحمته

برير : إذن لا نبالى بما قد يكون
و نحن نصير إلى جنته

الحسين : لا بل دعونى وحيداً هنا
و عودوا إلى أهلكم سالمين
لكيلا يبيد رجال الحقيقة

لكيلا يضل مريدٌ طريقه
فيخلو بعد طريق الرشاد من العارفين
و يقفر بعد رحاب العدالة من جندها الخلـَّص الحارسين
دعونى وحيداً أواجه قضائى
و ألقَ مصيرى رضىً الضمير
فأول أيامى الصالحات كتاب علىً كيومى الأخير

بريز : فكيف نواجه أولادنا و هجس العقول
و ومض العيون ؟

سعيد : نـُسـَلـِّم رأس الإمام التقى و نمضى لأولادنا و النساء ؟

بشر : فلا و أبيك إلى أن نخوض إلى المعتدين
بحار المنون

زهير : فلا و شموخ النفوس الأبية

نافع : فلا و إباء الأنوف الحمية

سعيد : فإن لم نصنك بأسيافنا
و إن لم تحصّنك أجسادنا
منعناك منهم بأشلائنا

ابن عوسجة : فإن جهادهم عند ربى مُثاب لديه بأجر الجهاد

الحسين : فلتذهبوا لقتالهم ... فلتذهبوا ..
نادوا الرجال و قاتلوا

(ينصرفون و يبقى وحده)

الحسين : (مستمراً على ربوة وحده) :
فأنا الشهيد هنا على طول الزمان
أنا الشهيد
فلتنصبوا جسد الشهيد هناك فى وسط العراء
ليكون رمزاً دامياً
للموت من أجل الحقيقة و العدالة و الإباء
قطراته الحمراء تسرح فوق أطباق السحب
كى تصبغ الأفق الملبد بالعداء
ببعض ألوان الإخاء
من قلبى الدامى ستشرق روعة الفجر الجديد
من حَر أكباد العطاش سينبع الزمن السعيد
طوبى لمن يعطى الحياة لقيمة أغلى عليه من الحياة
طوبى لأبناء الحقيقة أدركوا أن الإباء

هو الطريق إلى النجاة
و تذكرونى دائماً
فلتذكرونى كلما استشرت طواغيت الظلام
و إذا عدت كسف الجوارح فوق أسراب الحمام
و إذا طغت نــُوَب الحروب على نداءات السلام
و إذا تمطــَّى الوحش فى الحقل الندى
يلوك أحشاء الصغار
و إذا طغت قطع الغمام
على وضاءات النهار
و إذا تأجج فى النجوم بريقها تحت العواصف
و إذا تمزق آمن تحت المخاوف
و إذا مشى الفقهاء مخذولين
يلتمسون عطف الحاكمين
و إذا انزوى العلماء خوفاً من صياح الجاهلين
و إذا أوى الضعفاء للأحلام يقتاتون بالأمل الحزين
و إذا دجا ليل الخطايا
و إذا تبجحت الدنايا
و إذا الفضائل أصبحت خرساء عاجزة و صوت الشر صداح مبين

(يندفع خارجاً بسيفه)

المنظر الثالث

(المنظر السابق نفسه . يوم جديد فى كربلاء و الشمس تتوهج على الصحراء و التلال و الرمال تتوقد و فى الجو شئ كالدخن من عنف الحرارة)

شمر : (متجهاً إلى خيمة عمر) أين بالله عمر ؟
يا أمير الجيش فكر و تدبر
قل لنا ماذا عسى نصنع فى جيش الحسين ؟
إنهم كالجن لا يبرز منهم واحد للحرب إلا صرع العشرين منا

أسد : (يقبل خلفه مذعوراً) إنهم مثل الأسود الضارية
تحطِم الفرسان منا عن يمين و شمال
تثب الآن على الموت كأمثال الفحول النازية
فهى لا ترغب فى المال و لا الأمن و لا ترضى بما دون المنية

شمر : ما رأينا مثل هذا فى قتال

(يخرج عمر من خيمته و يقف تحت الظلال)

عمر : إنهم سبعون لا غير .. خسئتم !

شمر : مع هذا فهم قد قتلوا منا مئات شر قتلة

عمر : ليس فيهم من فتى إلا و فى أحشائه
من برحاء الظمأ الحارق جمر

أسد : إنهم قد روَّعونا .. فتدبر يا عمر

شمر : إنهم لو بارزونا هكذا فرداً لفرد
لأبادوا الجيش كله !

أسد : إنهم قد ضعضعوا الجيش و قد فر الكثير

من رجال طالما قد نـُزعت أسيافهم
من قبل حتى لا يسلوها على جبارهم !
و لهذا ألفوا ترك السيوف
ألفوا أن يُقهروا

عمر : إنكم جيش كبير

أسد : إنه جيش كبير ليس يجديه الكبر
كل صنديد بهذا الجيش لا يرجو سوى أن يرجع الآن فينجو بحياته
فهو جيش جمعته سورة الأطماع و الخوف و قادت خطواته
هو جيش من دروع و سيوف و رجال كالخُشُب
إنهم آلات تدمير فحسب
إنها آلات تدمير و لكن .. لا رجال
مثل هذا الجيش لا يصلح يوماً لقتال أو نضال

عمر : إنه و الله آلاف عديدة

أسد : إنما ينقصهم ما تطلب الحرب من الإقدام ..
و الإقدام لا توجده غير عقيدة

عمر : كيف بالله إذن تأتى العقيدة ؟
(متقدماً إلى اليمين ليقف خطيباً فى الناس)
أيها الناس لأنتم ها هنا عدة آلاف و هم سبعون
من أهل الورع

أسد : إنهم سبعون من أهل البصائر
يستميتون على الحق يرون الموت غاية

عمر : (مستمراً) إنهم سبعون لا غير فهم صرعاكم

أسد : غير أن السيف من أسيافهم أضحى بألف

(يتقدم من كل أنحاء المقدمة رجال فى سيوف و دروع و رماح هم من جيش عمر .. عمر يقف على جذع شجرة خطيباً فيهم)

عمر : ويحكم لو أنكم بضعة ألف من خراف أو معيز
أو نعاج
لنطحتم هؤلاء العشرات
(آمراً) لا يبارزهم أحد
إنهم صرعى و إن لم يتلقوا منكم غير الحجارة
فارضخوهم بالحجارة
فهم القتلى جميعاً فى النهاية
(آمراً أيضاً) لا يبارزهم أحد !

احذروا أن تلتقوا فرداً لفرد
اقذفوهم من بعيد بالنبال
أمطروهم بالسهام
حاصروهم بالحراب
ارضخوهم بالحجارة

(يخرج بعض الرجال و وراءهم عمر)

شمر : احرقوا الخيمة يا قوم بمن فيها
فإن خفوا إليها منقذين
جئتموهم خفية من خلفهم

أسد : إن فى الخيمة أطفالاً و نساء
كلهم آل الرسول

شمر : لا تبالوا .. أحرقوها
هكذا نشغل أصحاب الحسين

الحسين : (يتقدم من عمق المسرح وحده ليقف على الهضبة بسيفه مسلولاً)

الحسين : (لشمر) ثـُكلت أتحرق بيت الرسول ؟
فتلك لـَعَمْر أبى خيمته !

أسد : أتحرق بالنار وجه الرسول ؟

شمر : و ما ضرنى أننى أحرقه ؟

(يتزايد عدد رجال عمر الذين فى عمق المسرح يحاصرون الهضبة التى عليها معسكر الحسين)

أسد : (لشمر) أتكفر ؟ ويحك ماذا تقول ؟

الحسين : (لشمر) أتحرقه ؟ لا رزقت الشفاعة
يوم تذوق عذاب الحريق

شمر : (صائحاً فى الناس)
سأحرق خيمة آل الحسين ..
فمن ذا يرافقنى فى الطريق ؟

(يخرج زيد بن أرقم من خيمة عمر مندفعاً إلى شمر بسيفه)

زيد : (يعترض شمر بسيفه) تأخر لـُعِنتَ ..
و هان المراد و شق الطريق و ذل الرفيق !

شمر : يا زيد دعنى
سأحرق خيمة أهل الحسين على أهله ..
فاصرفه ساعة عن قتالى
و أخلص بعد على قتله

(رجال مسلحون من جند عمر يحيطون بالهضبة و رماحهم مشرعة من على الهضبة .. يخرج النساء من الخيمة صائحات)

النساء : وا ويلتاه وا غربتاه .. وا وحدتاه
أنُحرَق أحياء فى دارنا ؟

زينب : (تتقدم النساء) أما فيكم مسلم ذو ضمير
يدافع عن حرمات النبى
أما فيكم واحد ذو إباء
يدافع عن حرمات النساء

أسد : (صارخاً فى شمر)
أأصبحت نذلاً يخيف النساء
ألا تستحى

(يخرج شمر)

زيد : (صائحاً وراء شمر) .. لا .. يا جبان ..
سيرضى بما دون ذاك الدعى

(رجال من معسكر عمر يصيحون و يدخلون فرحين على رأسهم الشاب 1) ..

الشاب : قتلنا ابن عوسجة يا ابن سعد فأبشر بهذا
قتلنا ابن عوسجة يا عمر
قتلنا ابن عوسجة يا رجال ..
(يخرج الشاب 1)

زينب : (و هى على مرتفع أمام الخيمة تتأمل المعركة بعيداً)
أما من معينٍ .. أما من مجير ؟
أما من ولىٍّ .. أما من حمى ؟

زيد : (للرجال الفرحين) .. أيقتل فيكم فتى مثله
و أنتم لمقتله تفرحون و لا تستحون ؟
بماذا إذن يفرح المشركون ؟
فكم من مواقف قد خاضها و أعلى بها راية المسلمين

أسد : (حزيناً خافتاً) ..

و ما زلت أذكر أذربيجان و قد خاضها مثل ليث العرين
و كيف أتاها فدكً الحصون
فوا رحمتاه

رجل : (مستقبلاً فرحاً) قتلنا شباب بنى فاطمة
قتلنا بنى زينب أجمعين
قتلنا بنى حسن و الحسين
أفضنا عليهم سيول النبال
رضخنا أسُودهم بالصخور

(زينب تدخل الخيمة مسرعة و صرخات النساء تتعالى)

الصرخات : يا غربتاه .. وا ذلنا بعد قتل الرجال
وا حمزتاه !! و يا جدنا .. دماء بنيك سقين الرمال ؟

(و من ممر آخر يدخل رجل من معسكر عمر ثم يدخل العريف)

صوت رجل : و سعيد بن سعيد هو أيضاً قد سقط

(يدخل سعيد إلى الهضبة متهالكاً يكاد يسقط مستنداً على بشر)

العريف : يا ابن عمى يا سعيد .. آه لو طاوعتنى

سعيد : (لابن عمه العريف) .. هل عرفت الحب قط !
اسقنى جرعة ماء إن قدرت ..

العريف : أسفاه إن هذا الماء لا يُسقاه منكم أحد
إلا بأمر ابن زياد ..
أوصنى فيما تريد

سعيد : (و هو يسقط) .. أنا ؟ .. أوصيك بمن ؟
لست أوصيك بأولادى و زوجى
أو أبى الشيخ و لا أمى العجوز
أنا أوصى بحسين قائدى
و إمامى الصالح البر العزيز

العريف : (خارجاً) .. أسفاه (يكتم بكاءه)

بشر : أوصنى إن عشت بعدك

سعيد : أنا أوصى بالحسين

(يسقط على المرتفع و يتدحرج إلى خارج المسرح)

بشر : (صارخاً) .. أفلا جرعة ماء
فتقوينى على هذا القتال ؟

(يخرج شاهراً سيفه بينما يدخل رجل إلى المقدمة)

الرجل : قـُتل الحر الرياحىّ .. و نافع ..

شمر : (فرحاً) قد قتلنا كل أصحاب الحسين
بعدما أن قتلوا منا زهاء المائتين !

عمر : لم يعد إلا الحسين بن على و بنوه و النساء

شمر : بل قتلنا كل أولاد الحسين بن على
غير طفل واحد هو و الله مريض ..
لست أدرى ما اسمه

رجل 2 : إنه يا شمر زين العابدين

صوت الحر : (من وراء الهضبة) .. أنا ذا الحر الرياحى أموت
أوفـَيْـنـَا يا حسين

صوت الحسين : (من الخارج) رحمة الله عليك
أنت حقاً قد وفيت (صوت بكائه)
(يدخل النساء النادبات إلى الهضبة منفوشات الشعور)
على الشهداء يا قلبى تفطر
على الشهداء يا زمنى تحسر
على أولاد فاطمة و حيدر

عمر : (يدخل قائلاً لرجاله بزهو) :
احملوا جرحاكم و ادفنوا موتاكم
و دعوا صرعاكم أشلاء فى هذا العراء
اتركوهم للوحوش الضارية
اتركوهم للرياح السافية
و الطيور الكاسرة
و استريحوا لحظة .. ثم استعدوا للحسين
إنه جيش بأسره

أسد : (مقبلاً فى ذعر)
لمَ يا حسين خرجت .. ؟ قد أثـَّمتنا
إنى نصحتك فى المدينة يا حسين فما انتصحت
إنا قتلنا خيرنا
إنا ذبحنا الحر و هو منارة فى عصرنا

قد عاش يحلم بالعدالة و السكينة
قد كان رمزاً للمروءة و الوفاء
إنا سحقنا كل أركان الهداية ها هنا
سنعيش ملعونين من شهدائنا
يا ويلنا كيف الفرار و هذه لعناتهم حاقت بنا ؟!
يا ويلنا يا ويلنا من كل هاتيك الدماء

عمر : ماذا تقول أأنت تهذى يا أسد !

أسد : قـُتل الفتى بشر فو أسفى عليه
قتل الفتى بشر و فى أحشائه سبعون طعنة !
قد كان بشر خير فتيان المدينة لو علمت ..
إنا قتلنا شيخنا ابن مظاهر .. يا شَقوتاه !
أو لا تحس لظى الفجيعة يا ابن سعد ؟ ويلتاه !
أنا ذا قتلت برير و هو معلمى القرآن
يا عمر بن سعد
أو ما بكيت على ابن عوسجة ؟ .. أما ..

عمر : (مقاطعاً) يا شيخ أرح لا تهذِ بعد
إنا سنحمل .. فاستعد ما عاد بعد سوى الحسين

أسد : (حزيناً جداً تمزقه الأزمة)
إنى قضيتُ العمر متبعاً أباه ..

عمر : و غدرتَ بعد أبيه به
فغدوتَ أدنى الصالحين إلى بلاط معاوية

أسد : (منفجراً) قد كنت أحسب أننى سأفيدهم
لكننى أغرقتُ فى آثامهم !
و اليوم ها أنذا أراكم تقتلون ابن الصديق
و لا سبيل لنجدته
اليوم أتركه ليُقتـَل .. ويلتاه !!
(يتحرك ليخرج و عمر يتبعه محاصراً)
أنا فى المدينة قد نصحته

عمر : (حاسماً) قسماً برب العرش
لن يجتز لى رأس الحسين سواك أنت ..
أم سوف تنجو أنت من دمه الزكى
لكى أبوء به أنا .. ؟
لا بل سيلعننا الجميع على السواء فلست وحدى إن لـُعنتُ
أأكون وحدى حين تـُجزَى السيئات ؟
لا بل أكون أنا المميَّز يوم أخذ الأعطيات
(فى اختيال و شراهة و عصبية تتزايد)

فأنا أمير الجيش وحدى ها هنا
سيكون مُلك الرى أو جرجان لى وحدى أنا
سيكون لى وحدى خراجهما معاً
إنى سأجعل منهما مُلكاً كبيراً رائعاً ضخماً بحق
مُلك سيقصر دونه أحلام من غصبوا الإمامة و استبدوا فى دمشق
مُلك جديد مستقل
و أنا عليه أنا ابن سعد
و الكل يعرف قدر سعد فاتح الدولات ركن الدين
سيف الله ذى المجد المؤثل

النادبات : (يعبرن المسرح على الهضبة و زينب و سكينة تظهران أمام الخيمة)
يا ويلاه على ابن على يا ويلاه
يا وحدته وسط عِداه
يا ويلاه
بيده سيف رسول الله
يحاصره أعداء الله
يا ويلاه
يا ويلاه على العطشان
و الماء يسيل بكل مكان
يا ويلاه

سكينة : يا غربته وسط رجال يملك قلبهم الشيطان

زينب : (مولولة) .. يا غربته وسط عِداه
فلتحرسه عين الله
يا ويلاه
يا ويلاه على عطشان أبوه على الحوض الأعظم
يا ويلاه .. يا ويلاه !

النادبات : ارحمنا .. يا رب ارحم
يا ويلاه .. يا ويلاه
نحن عطاش يا ويلاه

(الحسين يدخل و سيفه مسلول متجهاً إلى الخيام و هو منهك ، معذب من الألم)

الحسين : (لزينب) .. أسكتيهن بحق الله

زينب : يا ويلاه .. و وا بعداه ..
وا جداه .. يالله

الحسين : أسكتيهن بحق الله
(للنساء اللواتى خفتت أصواتهن قليلاً و أسرعت ايقاعاته الفاجعة)
أسكتن قليلاً .. و ستبكين كثيراً ..

النادبات : يا ويلاه .. يا ويلاه
ارحمنا يا رب ارحم

(يخرجن و قد خرج الرجال من المستوى الأول و لم يعد فى المسرح كله إلا الحسين و زينب و سكينة على المرتفعات .. ثم الوهج)

زينب : قد نشأنا يا أخى فى الحزن .. فالحزن كتاب العمر كله

الحسين : إنما الحزن طويل و ثقيل و وبيل

سكينة : أنا لا أعرف و الله
لماذا كلما حلـَّت بنا الأحزان
زاد الله أفراح أمية ؟

الحسين : حكمة لله دقت يا أخية !

زينب : كان جدى هو أيضاً مبتـَلـَى بالحزن
حتى عندما ينصره الله بإحدى الغزوات !
لم يكن يشرب كأس النصر إلا مترعاً بالدمعات ..
يوم بدر يوم تلك الفرحة الكبرى ابتلاه الله فى أحد بناته

الحسين : (حزيناً جداً) .. يومها ماتت رقية !

سكينة : إننا بيت حزين يا أبى ..
فلماذا كـُتِبَ الحزن على بيت النبوة ؟

الحسين : إن هذا لقضاء الله فينا
و بهذا طهَّر الله القلوب المؤمنة ..
إن جدى لم يكن يعرف زهو المنتصر
كانت الحكمة أن يشغله الله تعلى بالعِبَر
فهو مهما يغدق الله عليه فهو من بعد بَشَر

(يظهر عمر فجأة و معه رجاله)

عمر : اهجموا الآن فهو مشغول بأهله ..
فهو إن يفرغ لكم لا يعرف الواحد منكم كيف ينجو ..
أمطروه بنبال لا تـُعَد ..
إنكم و الله آلاف كثاف و هو فرد !

(يخرج بعض رجال و تتساقط النبال على الهضبة)

الحسين : (منتفضاً)

يا ابن سعد .. يا ابن سعد ..

أسد : فلتكفوا النبل عنه
ربما استسلم يا قوم و جُنـِّبنا قتاله

الحسين : يا ابن سعد قطع الله تعالى رحمك ..
أنا أدعو الله أن تـُذبَح بعدى فى فراشك

عمر : أفلا استسلمتَ لى ؟ يا ابن على ؟
كل أصحابك ماتوا
كل إخوانك .. أبنائك .. أبناء أخيك
كلهم ماتوا .. و ما عاد سواك !
يا حسين .. أنت فرد
ما عسى يصنع فرد واحد واجه آلافاً كثيرة ؟

الحسين : أنا أدعو الله أن يمسخكم
أأنتم يا أجرأ الناس على الله قروداً
و خنازير حقيرة
سلط الله عليكم ظالميكم

أسد : اتركوه لحظة ..
(لعمر) أتركه قد يستسلم الساعة لك
(للحسين) أفلا تنجو بنفسك ؟
فلتبايع و لتعد من حيث جئت
فلتعد .. لا تمض فيما أنت ماض فيه بعد
إنه الموت كما شاهدته الآن فعد ..

الحسين : " سأمضى و ما بالموت عار على الفتى
إذا ما نوى حقاً و جاهد مسلماً
و داس الرجال الصالحين بنفسه
و فارق مثبوراً و خالف مجرماً
فإن عشتُ لم أندم و إن متُ لم أُلـَم
كفى بك ذلاً أن تعيش و تـُرغـَمَا " (1)

عمر : (للرجال) اذهبوا عنه إلى أن تسمعوا أمرى إليكم
فأفيضوا بسهام و نبال و رماح

(يخرج عمر و أسد و الرجال و لا يبقى إلا الحسين و زينب و سكينة على الهضبة)

الحسين : (شاهراً سيفه) .. إيه آل البيت قد آن الرحيل
حان و الله الوداع

سكينة : فهو و الله فراق لا يُرجَّى بعده العمرَ لقاء !!

زينب : هكذا تـُسلِم للموت حياتك (تتماسك بجهد)

الحسين : فإلى مَن أتكل ؟ (يتحرك)

سكينة : (صارخة مروعة) أبتِ لا .. كيف ترحل ؟

الحسين : لِمَ لا يذعن للموت فتى ليس له مَن ينصره ؟

زينب : (تنهار فجأة) .. وا حمزتاه .. وا حمزتاه ..
وا أبتاه .. وا أبتاه !

الحسين : (مستمراً) أم ترى أستسلم الآن فتسلمن و أسلم ؟
إنما يأبى علىَّ الله هذا يا أخية

زينب :
وا جداه .. و وا غربتاه
سكينة :

الحسين : لا تبكيا .. إن البكاء طويل

سكينة : أبتاه إنك سائر للموت مقهوراً عليه

الحسين : هو ذا مصيرى يا بنية لا فرار من المصير

سكينة : ارجع بنا لمقام جدى و انجُ يا أبتِ بنفسك

الحسين : هيهات " لو تـُرك القطا ليلاً لناما "

زينب : هيهات لو دُفِعَ المُريد عن الطريق لما استقاما ..

الحسين : (متجهاً إلى السماء) يا رب ليس لنا سواك
أنا لن أضل على هداك
أنا لن أضيع و هذه الدنيا ملاءة رحمتك
أنا لن أذل و كبريائى نفحة من عزتك

(زينب تقف ضارعة)

زينب : هو ذا يسير إلى عدو الله باسم الله معتمداً عليك
فلا تـُضِعه
ما فوق وجه الأرض من أحد
هو ابن نبيك المختار غيره

و لأنت أعلم أنهم إن يقتلوه
فلن يهابوا بعدها شيئاً .. فصُنه
هم يجسرون على الحياة
و كل ما فيها و من فيها
دعوتك .. فلتـُعِنه
يا رب ليس لنا سواك

الحسين : (مستمراً فى مناجاة الله) :

أنا ذا أخوض المستحيل إلى جلاء حقيقتك
فأضئ طريقى من أشعة حكمتك
أنا ذا شهيد الحق ضِعتُ
لكى أصون من الضياع شريعتك
لا تـُخفِ عن وجهى وضاءة نظرتك
فالمعجزات يصرن طوع يد الضعيف
إذا استعان بقوتك
إنى التجأتُ إليك يا ذا الحول و الجبروت
فارزقنى الرشاد و شُد أزرى
إنى نهضتُ أسد أبواب الضلال
فلا معين و لا نصير سوى رضاك
و لا ملاذ سوى حماك
فلا تـُضِعنى
إنى لِنور هُداك قد أسلمتُ أمرى
قد مات صحبى كلهم
و قضى بنىَّ جميعهم
و بنو أخى .. و جميع إخوانى قضوا
و بقيتُ وحدى
أنا ذا الشهيد
دعوتك اللهم ألا تـُقفِر الدنيا العريضة
من جنود الحق بعدى
(يتحرك مسرعاً إلى الخارج)

سكينة : أبتاه .. لا .. لا ..
فلتعد لى يا أبى

(يتوقف الحسين مهموماً)

الحسين : (لزينب) فلتأخذيها يا أخية ..
اذهبا إن الرحيل
(بقوة) .. قدماى ثـُبـِّتتا على قصد السبيل

زينب : (و هى تدخل بسكينة)
أسكتى لا تكسرى قلب أبيك

لا تزيديه كروباً فوق كربه
حسبه ما اعتمل الآن بقلبه
و كفاه يا ابنتى تأييد ربه

(زين العابدين شاهراً سيفه يندفع من خيمة النساء)

زين العابدين : أنا آتٍ يا أبى أدفع عنك

الحسين : إيه زين العابدين
(لزينب) أبعديه يا أخية
فعسى لا يـُقفِر العالم من نسل الرسول

الحسين : (يعانق زين العابدين)
لم يعد غيرك من نسل الرسول المصطفى يا ابنى فعد

(زينب تأخذ زين العابدين و هى تكتم بكاءها .. و الحسين يبتعد . سكينة تجهش بالبكاء)

سكينة : إنه يمضى وحيداً
سيلاقى هذه الآلاف من ذؤبان هذا الليل وحده
هو لن يرجع من بعد فكيف العيش بعده ؟
(تنفجر بالبكاء)

الحسين : (يتوقف) صبراً على الموت .. أنا ماض إلى منيتى
أخوضها مدافعاً عن أمتى
و حامياً عقيدتى
فكفكفى بنيتى
و أجملى أخيتى
(ينصرف مندفعاً شاهراً سيفه)

---

(1) أبيات قديمة ورد فى المراجع التاريخية المحققة أن الحسين استشهد بها فى أكثر من موضع .

المنظر الرابع

(الليل على كربلاء .. التيه و العراء و التلال الجرداء .. الحسين وحده يذرع المكان الموحش تحت الليل .. و القمر يضئ)

الحسين : أنا وحدى ها هنا ..
أنا وحدى و ظلام الليل و الهول و فى الأعماق
ما زال شعاع من رجاء ..
لم يعد غير الدم المسكوب فوق الصحراء
لم يعد غير الأفاعى
و فحيح الجرح و الويل الثقيل المدلهم
لم يعد إلا رياح الموت تعوى فى العراء
و سعير الظمأ المجنون فى التيه الأصم
أين أنتم يا أحبائى جميعاً أين أنتم .. ؟
أين فتيانى .. أما عاد ها غير الضياع ؟
(يذرع المكان صارخاً)
ظلمات .. ظلمات .. ظلمات
(حزيناً جداً) ها هنا يذوى الشعاع
ها هنا يُهتك عِرْض الكلمات .. !
الأفاعى ها هنا أقوى من الإنسان أياً كان فضله !
ها هنا الذئب أمير عنده السلطان كله !!
(يبحث فى التيه)
أين أنتم يا رجالى أين أنتم ؟
ما لكم لا تستجيبون و قد كنتم سراعاً إن دعوتُ
يا سعيد بن سعيد أين أنت ؟
يا برير أين رحت .. ؟
كيف يا بشر قضيت ؟!
أيها الحر الرياحى .. حبيب بن مظاهر ..
يا زهير .. يا أخى مسلم .. يا مسلم يا ابن العوسجة ..
أين أنتم .. ؟ أين رحتم ؟
أين أبنائى و أبناء أخى ؟

و بنو أختى .. ؟ و إخوانى جميعاً ؟
أين أنتم أيها الفتيان .. فتيان الطريق ؟!!
لم يعد منهم سوى لفحة حزن كالحريق
لم يعد إلا الدم المسكوب فوق الصحراء
و رءوس عمرت بالعلم و الحكمة و التقوى
و أحلام العدالة
تتهاوى فى العراء
و قلوب نبضت فيها النبالة
نثروها للوحوش
آه كم يحتمل الإنسان فى دنياه هذى و يعيش !!
يا لهذا الهول كله !!
كيف تقوى هذه الأرض على حمل كهذا
و هى لم تندك بعد ؟
يا لهذا الليل يستلقى على صدرى بثقله !!
كل هذا الروع يا ربى
و لم تسقط على الأرض السماء ؟!
(بمرارة شديدة) كل هذا يا إلهى
و يظل القمر الباهر يلقى بالضياء ؟!
و نسيم الليل يسرى ..
و النجوم الزرق تلمع ؟!
و تظل الشمس تسطع ؟!
(يتجول)
يا إلهى .. كل هذا الدم و الناس عطاش ؟!!
آه يا ضيعة من عاش لكى يبكى كل الأصدقاء !
آه يا وحدة من مات محبوه و عاش !
(يتجول أيضاً) أين أنتم كلمونى ..
أين أنتم .. ؟
أنتم يا أحكم الناس حديثاً عندما يعلو الغناء
حدثونى أنتم يا من ملأتم هذه الدنيا ابتساماً
و عزاءً و سلاماً و حنيناً و كلاماً
أه من بعدكم للعدل و الحكمة و الحق و وا حزن
اليتامى و الأيامى !
يا سعيد أيها الضاحك قم ..
لِمَ ما عادت تدوى ضحكاتك ؟
أين راحت حكمتك ؟
أصبحت حكمتك الباسمة الشماء قوتاً للبلى
أيها الحر الرياحى الجسور
أنت ذا صرتَ لـَقـَى
و غداً تمشى على هامتك الحرة أسراب الهوام
يا حبيب .. يا برير ..
شيخ قـُراء العراقين ألا تسمعنى ؟!
يا زهير .. مسلم انهض ..
أيها الشيخ الذى شاهدر بدراً و حُنيناً

بشر ! وا ويلاه إذ أندب بشراً ..
(بسرعة مذهلة و هو يدور فى التيه)
يا سعيد .. يا برير .. يا حبيب .. يا زهير ..
كلمونى
مسلم انهض
نافع فلتنتفض
(منهكاً خافتاً جداً) كلهم قد غالهم غول الردى !!
و أنا وحدى هنا (يتهاوى باكياً)
ليت هذا الدم إذ سال على هذا الدجى
ليته يصنع للعالم فـَجْره !
(منتفضاً)
ما لهذا الدم لا يصنع فجراً !!
ليته يغدو على الأعداء طوفاناً و هولاً و ضراماً
ليته يصنع للدنيا السلاما
(خافتاً) يا أعزائى .. لقد أصبحتُ وحدى
أنا وحدى و ظلام الليل و الهول
و فى الأعماق ما زال شعاع من رجاء
لم يعد من بعدكم غيرى على هذا السبيل
(حزيناً) لم يعد من بعدكم إلا الرحيل
(صارخاً فجأة)
إيه يا أيتها الأرواح فى هذه الضنى الداجى الثقيل المترامى
أنت يا من تعبر الليل الحزين
إيه يا أيتها الهائمة الحيرى على جسر القرون
(متصاعداً) إيه يا أرواح آبائى و أسلافى العظام
اصرخى كى ينهض الغافون فى وجه المظالم
ارفعى فى كل أرض نالها الجور لواء الشهداء
اجعلى من هذه الأشلاء رايات لظى مشتعلة
تحرق الظالم و الراضى بالظلم معه
و تذكى النار فى قلب الخنوع المستكين ..
اجعلى صيحتنا بوقاً يدوى ليثير الغافلين
اجعلى أشلاءنا رايات حق دامية
تصبغ الدنيا بلون الدم من عصر لعصر
أنثرى الأشلاء فى وجه الرياح العاتية
تحمل النقمة للظالم و اللعنة للساكت عنه
و تبث الندم الفاجع فى أعماق مَن صفق له
فليكن هذا الدم المسفوك تياراً من اللعنة ينساب بموج كالجبال
كاسحاً من ضل عن عمد و صناع الضلال
اصرخى من شاطئ الأعراف بالباكين
فى وادى الدموع
لا تنوحوا .. بل خذوا ثأر الذى يُظلـَم منكم
و الذى يُقتل ظلماً بينكم
فهو ثأر الله فيكم فاطلبوه
إيه يا أرواح كل الشهداء

ذكـِّريهم أننى ما زلتُ ثأر الله فيهم
(فى عمق فاجع) أنا ذا عشتُ شهيداً
لِمَ لا أقضى شهيداً ؟
أنا ذا أمضى وحيداً
ليست العبرة فى قتل الحسين بن على
إنما العبرة فيمن قتلوه .. و لماذا قتلوه
أنا ثأر الله فيكم .. فاطلبوه !!
(يخرج مسرعاً بالسيف و نسمع صليل سيوف ثم يقبل رجال مفزعين)

الرجال : أنا مالى بالحسين
- إن من يقتل أبناء النبيين لكافر
- أنا لن أكفر فى آخر عمرى

عمر : (داخلاً فى فزع و وراءه شمر)
إنه يحمل سيف الله يا قوم
فلا حيلة و الله لكم ..

شمر : ما أرى فى الجيش مَن يثبت له !

(رجال آخرون من جيش عمر يقبلون مذعورين)

رجل : نحن لا نقوى على هذا فدعنا
و تقدم أنت له !

شمر : كلهم قد فر عنه
فتدبر يا ابن سعد .. إنه يفلت منا ..

عمر : (صارخاً فى فزع لشمر) قسِّم الجيش ثلاثاً
فرقة تقذف بالنار عليه

رجال : أنت تدعونا على قتل النبى

عمر : (مستمراً) ثم أخرى للنبال
ثم أخرى للرماح
(يروح و يجئ صارخاً فى رجاله)
لا يبارزه أحد
لا يبارزه أحد ..
اقذفوه من بعيد بسهام و نبال و رماح .. (يخرج الرجال جميعاً)

أسد : هكذا يصبح هذا الجيش و الله كوحشى
و يغدو هو حمزة ..

عمر : (مستمراً فى فزع) و ارضخوه من بعيد بالحجارة

شمر : أرسلوا النار عليه و الحجارة

أسد : (على مرتفع) إن فى أحشائه عشرين رمحاً
و هو يضرب
(يضع وجهه فى كفيه)

عمر : (للجيش) أرسلوا أيضاً سهاماً و رماحاً أخريات

شمر : عذبوه .. فليعـَّذب .. فليعذب

عمر : (منهاراً) فليعذب شر أنواع العذاب
ارشقوه برماح و حراب

(يدخل زيد بن أرقم منهكاً مروعاً)

زيد : (يتماسك بصعوبة) هو ذا يسقط فى الأرض
جريحاً .. أسفاه

الرجال : ويلتاه .. ويلتاه ..

زيد : كيف بالله سننجو من عذاب الله فى يوم الحساب

أسد : آه لو أقوى على إنقاذه الساعة آه

شمر : (شاهراً سيفه على أسد)
فلتحاول يا أسد

أسد : (يكمل) كيف بالله سننجو يا عمر
حين نأتى الله يا ويلى شفيعانا يزيد و الدعىّ
ثم يأتيه الحسين بن على و شفيعاه تـُقـَاه و النبىّ
ويلنا .. يا ويلنا أيـَّان إذ ذاك المفر !؟

عمر : (صارخاً) بل لك الويلات وحدك
لا تـُعِد ذِكْر يوم الحشر .. ويحك

شمر : (فرحاً) الحسين بن على خر و الله صريعاً

زيد : هلك الناس جميعاً

أسد : (يخفى وجهه فى يديه) .. يا لعارى الأبدى ..
ليتنى أقوى على إنقاذه

عمر : (محتداً لأسد) اذهب الآن لكى تجتز رأسه !

أسد : (صارخاً) أفتنجو أنت من قتل الحسين بن على
عندما أوْخذ عند الله به ؟

عمر : اذهب الآن فعلـّق رأسه من فوق حربة

شمر : (لأسد مشيراً لعمر) : إنما هذا أمير الجيش
يا شيخ امتثل إذ يأمرك

عمر : فإذا خالفتَ عن أمرى فلن أرحم رأسك !

(أسد يتجه إلى ما وراء المرتفع و يختفى مسرعاً .. و أنين الحسين يرتفع)

صوت الحسين : أأُقتَـل مظلوماً و جدى محمد ؟
و أذبح عطشاناً
أنا ابن الذى روى جميع عِطاش الأرض
أنىَّ رآهم ؟
و أترك مهتوكاً و أمىَ فاطمة

(تندفع زينب مفزعة على صوت الحسين .. و تخترق المكان إلى عمر ابن سعد فتواجهه و لكنه يستدير و لا يستطيع النظر إليها)

زينب : يا ابن سعد .. يا ابن سعد .. أفلا تسمعنى
فلتجبنى يا عمر
الحسين ابن نبى الله مقتول و هذا أنت تنظر !
أفلا تنقذه ! إنك أدنى الناس له ؟!

عمر : (صارخاً بانهيار للرجال وراء المرتفع)
وطـِّئوا أفراسكم صدر الحسين !
وطـِّئوا أفراسكم ظهر الحسين !
اقطعوا رأس الحسين .. فلتعجل يا أسد
لا تخر يا أيها النذل ! و لا ترجع لنا من غير رأسه !

زينب : (صارخة فى يأس هائل ..)
قتلتك الصاعقة
شردت أهلك من بعدك أهوال الرعود البارقة
سلـَّط الله عليكم نقمته

أسد : (يأتى مسرعاً مرتعداً) لا .. كفى
لا تـُشتـَرَى الدنيا بما فيها برأس ابن النبى !
إنه حدق فى عينى يا ويلى

فلم أبصر سوى عين النبى
قد نظرتُ الآن فى عينى رسول الله
لا .. لا يا عمر
لا .. معاذ الله أن ألقاه مأخوذاً لديه يا لحسين !

شمر : (لعمر مُعَرِّضاً بأسد) إن هذا خائر لا يؤتمن !

عمر : لم يزل فى قلبه الهش بقيات ولاء لعلىّ

شمر : فلتـُوَجِّه غيره

عمر : (للعريف الذى يقف أمامه فى مستوى أدنى مع بعض رجال)
فلتعجل أنت ..

العريف : أأنا ؟ أنا و الله عريف ..
تاجر حر شريف

عمر : أنت ؟

العريف : و أنا حتى إذا طـَّففتُ فى الميزان و الكيل
فإنى لستُ إلا تاجراً غير شريف
أو فقل غير نظيف
غير أنى لستُ و الله بقاتل !
لستُ جزاز نفوس بشرية !
ثم إنى أيها القائد لم أخرج لهذا أو لمثله
بل لكى آخذ مالاً من أمية
فدعونى .. إنكم فى هذه الحرب قتلتم
آثر الناس لدىّ
و أعز الخلق و الله علىَّ
وا شقائى بعد أن مات ابن عمى
(نائحاً) وا سعيد بن سعيد !

عمر : لك ما شئت من المال إذا جئت برأس ابن على

العريف : (وجلاً) ما انتفاعى بعد هذا بكنوز العالمين !

عمر : و إذن تـُقتـَل إن لم تمتثل (يخرج العريف)

زينب : (صارخة) أوَ ليس فيكم مسلم ؟ يا للرجال ..

(رجال يقفون أمامها بالرماح)

سكينة : يا ويلتاه أليس فيكم مسلم يحمى ابن بنت نبيكم من قاتليه ؟

يا ويلكم كيف الفرار من العقاب
إذا أتى يوم الحساب ؟

زينب : إنى فزعتُ إليك يا ربى فشُلَّ يد القضاء

سكينة : مَن لى على عطشى ببأس هائل كالمعجزات !
فأذود عنك أبى صروف العاديات

زينب : سطت الوحوش الناهشات على نبالات الحياة
يا ويلتا سطت الذئاب ..

عمر : فلتبعدوها ..

(يدفعونها بالرماح قرب صدرها فتتراجع)

(يأتى العريف مذعوراً)

العريف : إن فى عينيه نوراً هائلاً يصعق مَن ينظر له
آه من نظرته لى ! لا يا أمير الجيش .. لا ..

زيد : نظرات فاض منها من جلال الله
ما يجفل منه عارفوه
نظرات كشعاع الحق
تذكى الندم الخالد فيمن عنده إيمان صدق

عمر : (لرجل آخر) أفلا تذهب أنت ؟

الرجل : أعفنى من هذه قد خِرتُ و الله
فما يثبت سيفى فى يمينى
بل كفانى أن حرستُ الماء ..
حسبى أن منعتُ الماء عنه

شمر : ويحكم ماذا دهاكم ؟
إنها رأس رجل
إنها مهما تكن رأس رجل
(للرجل 1) أوَ لم تقطع طوال العمر رأساً لرجل ؟

العريف : إنها رأس ولىٍّ ما له فى الناس مِثل

أسد : (فى يأس) إنها رأس نبى الله لا رأس الحسين

زيد : أين تمضون من الله
و ها أنتم أولاء اليوم تهدون رءوس الأنبياء

للبغايا و الإماء ؟

عمر : أغدوتم جبناء .. ؟
أوَ ما فيكم فتى يقوى على رأس الحسين ؟

زينب : (فى يأسها الفاجع الهائل) يا ويلتا لك يا عمر
.. فلتسقط اللعنات فوقك بالجحيم المستعر
فلتصهر اللعنات روحك
فليهوِ لحمك فى التراب و أنت حى
قطعة من بعد قطعة
(تنحى الحراب مندفعة)
يا أيها المجنون بالدم فليغيـِّبك الجحيم
بل فلتعَذب كلما سألتْ على ذكرى شهيد الحق دمعة

زيد : ها أنت ذا تعدو على آل الرسول الآمنين
و أبوك يا عار البنين أمين أمته المكين .. ؟

عمر : (منهاراً فجأة) يا للشقاء فما احتيالى حين يأمرنى يزيد ؟!
هو ذا كتاب منه يأمرنى بقتل بنى على أجمعين
(يُخرج كتاباً من صدره و يلوح به)
يا للحسين .. و يا لآلامى ! .. و وا ندمى العظيم
إنى أُمِرتُ بأن أعود لهم به أو لا أعود
و لقد أتحتُ له النجاة بأن يبايع أو يفر
فلم يفر و لم يبايع !

زيد : لوددتُ لو أنى مكانك يا ابن سعد فأفتديته ..

أسد : يا للحسين و أهله ! يا للمصائر و المصارع !

زينب : يا أيها الملعون هل فكرتَ فيما أنتَ صانع ؟
أعرفتَ ويحك أية الحرمات يا ملعون تهتك ؟
أى الدماء الطـُهر تسفك ؟!
زاغ الفؤاد فلستَ تدرك
الله أدعو أن يسوق إليك مَن سالمتهم
كى يذبحوك على فراشك

عمر : (يهرب إلى صراخ هائل)
فليُسكِت زينبَ ضبحُ الخيل
فليسكتها صوت النبل !
شدوا كلكم فوقه
شدوا و اجتزوا رأسه

رجل 2 : لن يقتله أحد منا ..

رجل 3 : نظرته شلت سيفى

شمر : لا ينظر أحد فى عينيه ..
أديروه .. فلتلقوه على وجهه ..
و سأذبحه من خلفه
(ينحدر مسرعاً و السيف فى يده و يخرج إلى ما وراء المرتفع)
أسد : (لعمر) أما و الله لو أعطيتَ مُلك أمية كله
لكان أقل مما تستحق بهذه الفعلة !!

عمر : (فى هيجان و اضطراب بين الفزع و القسوة)
أين أنجو من عذابى ؟
وطـِّئوا أفراسكم صدر الحسين
كيف أنجو ؟ .. أين .. أين .. ؟
وطـِّئوا أفراسكم ظهر الحسين ! (يخرج مُسرعاً)

زيد : فها أنتم قد قتلتم حسيناً ..
فيا ويلكم من عذاب السعير
عصيتم إلهكم ويحكم فى نفاق الأمير
قتلتم فتى هو خير الجميع
و نافقتم فيه شر الورى
قتلتم فتى جاءكم مُنجِداً
ليُصلِحَ من أمركم ما التوى
فلا و الذى بعث المرسلين بنور الهدى
لن تصيبوا هدى
فيا أمة الغدر لن تـُفلِحوا
إلى أن تتوبوا على ما جرى
(يقرع رأسه و صدره)

زينب : (مندفعة وسط الرماح)
يا ويلتا حُمَّ القضاء ! .. قتلتموه !

سكينة : (مندفعة وراء زينب) أبتاه ! وا أبتاه ..
وا جداه .. وا شهداءنا !
فلتعجلوا من كل أطباق السماء
هذا الحسين مجندل وسط العراء
عطشان ترويه الدماء
أكفانه التيه الرهيب
أبتاه .. يا ويلاه .. وا جداه ! يا ويلى عليه
ويلاه بعدك يا أبى !
(تدخل الخيمة باكية)

زينب : يا قاتلى بطل الحقيقة و التـُقـَى

يا خانقى أمل الخلاص المُرتـَجَى
يا ويلكم .. أوطأتموا أفراسكم جسد الشهيد ابن الشهيد المُرتـَضَى
أنتم دهستم ويحكم جسد الرسول !
و سفكتم دمه الطهور
دم الرسول المصطفى
(صارخة مروعة)
يا أيها الجسد الجليل اِصحَ .. انتفض
أبصق دماً فوق الوجوه المذعنات
و على النفوس الخاسرات
(فى أسى هائل)
يا نابشى قبر النبى و مُهْدِرى حرمات أهله
يا ماضغى كبد الشهيد
يا مطفئى نور الحضارة .. و الحقيقة و السلام
(متصاعدة) يا خانقى الأحلام ..
أشعلتم ضراوة الانتقام
يا رافعى علم النذالة
(متهالكة) يا ذابحى الإنسان و هو يعيش أحلام العدالة
(مريرة) هل فيكم مِن بعد هذا اليوم مسلم ؟
(باكية) لله يا عمر بن سعد ! (صارخة) أين رحت .. ؟
(متصاعدة) أين راح البربرى .. ؟
(مريرة) ماذا ستجنى عندما تـُهدِى رءوس الأولياء إلى البَغِىّ ؟
أخليتَ وجه الأرض ويحك من جميع بنى علىّ ؟
يا عارك الأزلىّ إذ تشرى رضاء ابن الدعىّ
بأن تريق دم النبىّ
(صارخة) جداه هل أبصرتَ قرة عينك استلقت على هذا التراب ؟
أكفانه هوج الرياح و قبره ظـُلـَل السحاب ؟
المؤمنون بما أتيت به الذين بك اهتدوا
قتلوا ابن بنتك
هى ذى الجبال تكاد تبكى دونه
لكن رجالك مزقوه !
إن الملائك يصرخون و يندبون و يلطمون
و الحور فى غرف الجنان مولولات
الطير تزعق باكيات
(للرجال) يا ويلكم من ذنبكم يا ويلكم
ويلى بكم
إن السماء تكاد تمطر بالدم
و خيولكم تبكيه و هى تدوسه يا ويلكم !!
إن الصخور تكاد تبكى بالدم المصلوب فوق ذنوبكم !!
هى ذى السماء غدت دماً و الأرض تصبغها الدماء
ماء الفرات غدا دماً
الرمل أصبح كله قطرات دم
لن تجلسوا لصغاركم و نسائكم
إلا و سال دم الشهيد أمامكم و وراءكم

جدران دوركم دماء
أركان مسجدكم دماء
أوتاد خيمتكم دماء
لحظات عمركم الزرىّ
خفقات صدركم الثقيلة
أحلام ليلكم الوبيلة
و نسائكم .. آفاقكم .. أيامكم ..
صارت دماء كلها .. يا للدماء !!
فى كل أرض أو سماء
لن تبصروا غير الدماء
سيجفف العطش المُذِل حلوقكم و عروقكم
و دم الحسين يسيل فوق رءوسكم
يغشى على أبصاركم و الثأر فى أعناقكم !!
ستظل ألوان الدماء فى الأفق
ستفيض أنهار الدماء على الشفق
سيظل من عطش الحسين صدى لهيب خالد
يأتى على الغبراء و الخضراء حتى تحترق
سيظل يلفحكم إلى أن تهلكوا
عطش الحسين سعيركم و عذابكم
و دم الحسين مصيركم
(تتهالك على آخر الكلمات) يا ويلكم .. يا ويلكم !!

(تأتى سكينة مسرعة من داخل الخيام مفزعة و وراءها نساء ممزقات الثياب منشورات الشعور)

سكينة : (صارخة) يا عمتا سطت الذئاب على الحُرم
يا عمتا إننا نـُنازَع ثوبنا عن ظهرنا
أخذ الرجال متاعنا و حُلـَّينا
فلتنقذينى إنهم قد هددوا أعراضنا

زينب : كفوا أياديكم عن الحرمات يا شر البرايا
إن لم تكونوا مسلمين و لم تكونوا كالرجال
فلا تكونوا كالبغايا ..

زيد : (منتفضاً فى غضب رهيب)
كونوا إذن عرباً و عودوا للأصول و شاورها
أعراض آل محمد
هى بعد عِرْض قريش عِرْض معاوية
فالويل كل الويل
من غضب ابنه إن تثلموها !!

أسد : (فى رجاله) يالرجال المنجدين تقدموا
كى تنقذوا حرمات مولاكم أمير المؤمنين

أعراض مولاكم يزيد

زينب : (باكية) هل جاء يوم لم يعد فيه اسم خير المرسلين به الكفاية للحماية ؟!
أعَلَـى نساء البيت أن يتلمسوها من أمية ؟
(منتفضة للرجال)
لا تجرءون على نساء ابن الدعىّ
و هن فى غرف القصور العالية
و تهاجمون بنات خير المرسلين
و هن أدراج الضياع ..
أفتقتلون ابن النبى
و تنهبون نساءه ؟ قسماً لأنتقمن له !
ستجئ ساعة الانتقام

شمر : أنتن و الله السبايا يا بنات محمد ..
أنتن و الله المتاع
(يسوق النساء هو و بعض رجاله برماح و سيوف)

أسد : (مقتحماً برجاله شاهراً سيفه)
فلترفعوا تلك الرماح عن النساء الطاهرات ..
فإذا أبيتم يا أخس الناس إلا أن تكونوا أدنياء
فأنا و كل قبيلتى نحمى النساء

زيد : و أنا و كل قبيلتى نحمى النساء

(يتقدم أسد و زيد و رجالهما بين النساء و بين شمر و رجاله)

أسد : يا أشقياء إلى الوراء .. إلى الوراء
فمَن تقدم منكم ثكلته أمه

أصوات من الخارج : رأس الحسين يُطـَاف به ..

زينب : (تقف منهارة جداً) وا ضيعتا .. و وا ويلتا
وا ذلنا من بعد موتك !

(تدخل مجموعة من النساء ، و الرجال غير المحاربين من أهل الكوفة)

رجل : رأس الحسين يُطاف به !!

الرجال و النساء : يا ويلتا .. يا ويلتاه !!
لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب
فالرأس مثواه بقلبى

زيد : (باكياً) أسفاه قد قـُتِلَ الحسين
و لم أدافع عن حماه !!

أسد : (منهاراً) أسفاه قد ذبحوا الشهيد ابن الشهيد
و نحن ننظر !

سكينة : يا رب إبراهيم أهلِكهم بنارك أجمعين

النادبات : يا رب

سكينة : يا رب إسماعيل فليُذبَح عدوك فى فراشِه

النادبات : يا رب

زينب : يا ساقى العطشان لا يروى العِطاش اليوم إلا بحر دم
إنى دعوتك فانتقِم يا منتقم
(عمر يصيح على المرتفع وحده فى عصبية)
فلتربطوا أيدى النساء لكى يُسَقنَ إلى يزيد كالإماء
فإذا صرخن و إن جرؤن على البكاء
فكمموا أفواههن
و الآن طوفوا بالرءوس على الحراب
فلتتركوا أجساد مَن سقطوا هنا فى التيه تأكلها الذئاب

(يدخل رجال و نساء آخرون يلطمون و يندبون و هم من أهل الكوفة و عمر يخرج مسرعاً كأنه يفر)

اللاطمون : لا تطلبوا قبر الحسين بشرقِ أرضٍ أو بغربِ
فالقبرُ مثواه بقلبى

سكينة : (فى مواجهة الباكين) أتبكون ؟ فلا جفت لكم دمعة
و لا رقئت لكم عبرة
لقد ضاع أبى فيكم
أتبكون ؟ فلن يطفئ دمع الأرض ما نلقاه من لوعة
فما جدوى البكاء اليوم
لا خفت لكم حسرة .. !

شمر : احملوا رأس الحسين بن على للأمير ابن زياد
فليُطـَف بالرأس فى كل الطرق
ثم فليُحمَل إلى قصر يزيد بدمشق
و لتسوقوا سائر النسوة و الأطفال لكن فوق أقتاب الجِمال

(زينب عيناها دائماً جهة الخارج حيث يطاف بالرأس تبكى فى صمت فاجع و هى منذ حين واجمة تماماً)

زينب : (من أعمق أغوار الحزن)
هو ذا يا جدنا قرة عينك
ويلنا يا ويلنا ..
أفلا ينتقم الله لنا ؟
سيضيع الدين إن لم ينتقم

شمر : أسكتوها .. أسكتوها ..

زينب : (صارخة بانهيار و هى مندفعة إلى بعيد إلى أعماق المسرح حيث يطاف من ورائه بالرأس و تتصاعد أصوات البكاء و اللاطمين و النادبات)

أخى .. أخى ..
ليت السماء كـُشِطت !
ليت الجبال سُيـِّرَت
ليت الرواسى دُكَّت
و لم تـَمُت و لم تـَمُت !!
ليت الجحيم سُعِّرت
ليت النجوم انكدرت ..
ليت البحار سُجِّرت ..
(منهارة تماماً) و لم تـَمُت .. و لم تـَمُت ..

المنظر الخامس

(الليل فى قصر يزيد بن معاوية بدمشق ، بكل مظاهر الأبهة و الغِنَى الفاحش ، إبريق خمر ذهبى و أقداح تلمع فيها الجواهر .. جارية شقراء جميلة جداً .. و يزيد يلهث كأنه يجرى ..

فى الصدر شرفة متقدمة تبدو من خلفها مناظر دمشق .. فى الحجرة عرش على درج مرتفع قليلاً

على اليسار باب عليه ستار فاخر و على اليمين باب مماثل)

يزيد : سابقينى من جديد يا فتاتى القبرصية

الجارية : لا .. أنا غاضبة يا سيدى
أنت فضـّلتَ علىَّ الفارسيات و سمراوات مصر

يزيد : أنت و الله أحب الناس لى
(متودداً) لا تقولى سيدى
فلتنادينى يزيدى .. ! (أشد توددا)
إنما الليلة لكِ !

الجارية : لستُ إلا جارية

يزيد : سابقينى مثلما سابقتِ قردى

الجارية : أنت تعطى القرد أضعاف الذى تمنحنى
فلجامٌ ذهبيٍ بفصوص باهرة
و على حُلـّـته أبهى الحُلىِّ النادرة
و أنا لا شئ عندى
و أنا ضيعتُ فى حبك زوجاً قبرصياً .. أم نسيتَ ؟

يزيد : (يُلقِى إليها بعقد يخطف الأبصار)
أتبيعين هداياكِ ؟ فهذى ثورة تكفيك عمراً ..أرضيتِ ؟

الجارية : و إذن أسقيك من كفى خمراً
(تـُدنِى القدح من فمه .. قدح كبير تمسكه بكلتا يديها .. يشرب يزيد ثم يقف فجأة)

يزيد : بل فقومى سابقينى .. (مهموماً متأملاً و مرتبكاً)
إننى أسبق قردى و أرى أنك إن سابقته لا تستبقيه
و صباح الأمس سابقتك فى البستان لكنك و الله سبقتِ
(بضيق شديد)
حِسبَة تشغل عقلى منذ أمس
(صارخاً) سابقينى .. سابقينى كى أحل المسألة
إنها مشكلة تشغل مولاكِ .. فحُلـِى المشكلة

الجارية : انتصِف لى أولاً مِن بعض أعوانك ممن حقرونى
إن فيهم رجلاً يلفح بالنظرةِ قـَدى

يزيد : كيف هذا ؟! مستحيل .. مستحيل !

الجارية : (مستمرة بدلال) و لقد يلمس نهدى

يزيد : إنما قام على أمثالهم مُلك أمية ..
إنهم أخلص أهل الأرض لى
إنهم مَن فتحوا قبرص أيام أبى ..
إنهم مَن خضدوا شوكة أبناء علىّ ..
أم هو الحقد الذى يعمل فى قلبك يا بنت الأمير القبرصى !
إن مَن حولى هم مَن أهدروا عزة قومك !

الجارية : لستَ و الله بمولاى يزيد
صاحب السطوة و الجاه إذا لم تـَحْمِنِى !
(بحذر) إننى محظية يا سيدى أو مُضحِكَة
غير أنى الآن إحدى حُرمك ..
فأنا مِلك يمينك ..
إننى مُذ ُ صرتُ فى قصرك قد أصبحتُ عِرْضك
إنهم و الله مِن خلفك يزرون عليك ..
(هامسة باستبشاع) بعضهم راودنى ..

يزيد : حددى أسماءهم

الجارية : واحد منهم يسمى أسد ..
كان يُزرى ليلة الأمس علىّ ..
بعد أن غنيتُ عندك

يزيد : أسد ؟ لا .. إنه شيخ وقور .. و وفىّ ..
جاء فى وفد العرافين برأس ابن على

الجارية : إنه طاردني .. إنه شيخ غزل
و هو و الله عدوك ..

يزيد : مَن سواه ؟
حددى أسماءهم (تعطيه ورقة)
فى غدٍ أرمى بهم فى السجن كى يلقوا من التعذيب .. ما لا يُتَخَيَّل
فإذا كانوا رجالاً من ذوى السطوة
(برنة خاصة) فلنبعث إليهم بجنودٍ من عسل
أرضيتِ ! فهلمى سابقينى ..

الجارية : (ضاحكة فى يُسْر)
إننى أسبق يا مولاى قردك
و على هذا فما من مشكلة
إننى أسبق مولاى و قرده
و لقد أسبق فهده !

يزيد : مستحيل .. مستحيل .. أين قردى ؟
(يصفق) .. يا غلام ..
سابقينى الآن فى حجرة عرشى
(يدخل غلام مسرعاً من باب اليسار)
أين قردى ..
نادِ لى سيدك القرد العزيز ابن قبيس

الغلام : (بصوت محايد) سيدى القرد
ينام الآن فى قصر الحريم

يزيد : انصرف يا أيها الأحمق و أكتم أمرهن
فإذا بُحتَ به فلتنعِ نفسك
أنت قرَّاد غبى ! قبح الله نديماً كان مثلك !

(يخرج الغلام جرياً من حيث جاء و يده على فمه كأنه يمنع نفسه من الكلام و يزيد يضحك)

يزيد : ما عسى يصنع فى قصر الجوارى

الجارية : (تضحك عالياً) بعض نسوانك يا مولاى يعشقن القرود !
و يفضلن لقاء القرد يا مولاى عن حب يزيد !

يزيد : إن عندى من جوارىً مئات
أنا لا قدرة لى وحدى أن أونس هذا الحشد كله !

الجارية : ليس كل القصر يا مولاى فى حبك مثل القبرصية
مع هذا فهى تقضى الليل فى رعب و ضيق

يزيد : إنما الليلة لكِ

الجارية : ها هنا فى قاعة العرش ؟!

يزيد : إن ترى ذلك .. أو فى مخدعك ..
بعد أن ألقى السبايا سأوافيكِ هناك
عطـِّرى لى حجرتك
اذهبى الآن إذا شئتِ ..
و إن شئتِ تسلى بالسبايا

الجارية : حجرتى فوق الطريق
و على مقربة من حجرتى رأس الحسين
فإذا ما جننى الليل تناهت لى أمواج الدجى
بأنين و بكاء
و تخايلتُ بأشباح عظام
و بطوفان دم يزحف نحوى
حاملاً أشلاء قـَتلـَى
و بصوت فاجع يهمس فى روعى : عطشان .. عطاش ..
و مع الصوت زفير كالحريق !

يزيد : (صائحاً)
اذهبى للقرد قد يُذهِب هذا الخوف عنكِ !

الجارية : (ثائرة) لا تقل لى مثل هذا فأنا بنت أمير
و أنا قد كنتُ زوجاً لأمير قبرصى
لستُ ممن يتصلعكن بساحات دمشق !

(يزيد يجلس إلى العرش متخذاً هيئته الرسمية)

يزيد : ما عسى يعنيكِ من أمر الحسين بن على يا امرأة ؟
(قاسياً جداً) صَرِّحى مَن يا تـُرَى قد دسكِ الآن علىّ ؟
أيهم أغراكِ بى
فأنا إن لم تبوحى قاتلكِ

الجارية : (مروعة) أنا ما شأنى بهذا كله يا سيدى ؟
إننى مذ علقتَ رأس الحسين
خارج الحجرة فى خوف رهيب متصل
فأنا طيلة ليلِى فى أرق
و نهارى ألم لا يُحتـَمَل
فلتـُغـَيِّر حجرتى تلك ..
و هذا كل ما أرجوه منك ..
(فزعة حقاً)

إننى أبصر طول الليل مِن حولى دماً
و أرى رأس حسين تتحرك

يزيد : (ثائراً) أيها الحراس .. يا حراس عرشى أجمعين
(يدخل عدد من الحراس .. و معهم الغلام القراد من باب اليسار)
سيدى

يزيد : (مشيراً للجارية) اسحبوا تلك .. خذوها !
و اسجنوها مع قطاع الطريق
و إلىَّ الآن بالنسوة من آل الحسين
أدخِلوا كل السبايا و رجالى المخلِصين

(بعض الرجال يسحبون الجارية .. و يخرجون من باب اليسار .. و آخرون يدخلون من باب اليمين بالسبايا منشورات الشعور يسوقهن رجال بالرماح و شمر على رأس الرجال . وسط السبايا زينب و سكينة .. النساء منهكات ممزقات)

الجارية : (و هم يسحبونها) إن رأس ابن علىّ تتحرك !!
هى ذى تعترض الآن طريقى و طريقك

يزيد : (متماسكاً) اقذِفوا تلك إلى البحر لكى تسبح .. حتى قومها
فعسى تنفعها رأس الحسين ابن على يومها ..

(يسحبون الفتاة إلى الخارج تماماً)

زينب : (تتأمل المكان فى عمق فاجع)
أينما تمشِ من الأرض فلن تبصر إلا قطرات من دمائه

سكينة : (تتأمل المكان فى رعب)
إن هذا العرش يا عمة يطفو فوق بحر من دماء الشهداء

يزيد : (يتأمل العرش فى تثاقل مصطنع و يذرع المكان ليتأمل السبايا)
أسكتا (للحراس) لا تُسمعونى هذيانات النساء

زينب : أنت لن تسمع طول العمر إلا صرخات و نذيراً

النساء : (باكيات) آه يا ويل الأرامل
آه يا ويل الشريدات الثواكل ..
آه يا وحدتنا من بعد ما اغتالوا الحسين بن على

يزيد : (ما زال يتأمل .. و لكن فى ضيق الآن)
أسكِتوهن فقد أفسدن ليلِى

زينب : (كالنذير) فسيُمسِى الليل فى أذنيك ويلاً و ثبوراً

و ستغدو نسمة الصُبح هجيراً
(مريرة) أنت ذا فى قلعة البطش أمير
(منذرة) فستغدو فى عراء
فتحت أفواهها فيه القبور
و مشى الأموات نحوك
(فجأة فى رعب هائل)
هى ذى رأس الحسين ابن على تصفعك
إنها تسطع فى هذا الدجى الباكى لكى تكشف
للناس مصيرك

(يزيد يزحف إلى العرش و يتسلقه ليجلس عليه حتى إذا جلس تشبث به و هو يلهث من الرعب .. و يحاول أن يتماسك)

يزيد : لا !! كفى !! فلتـُسكِتوها ! .. أسكِتوها !

زينب : (مستمرة) إنها تسحق صدرك
قطرات الدم يسـَّاقطن منها فوق وجهك
و على كفيك يا قاتل أشلاء الضحية
و على شدقيك دم
و على عرشك دم
و على مخدعك الآثم دم
و على جدران هذا القصر دم
كل شئ ها هنا يطفح منه الدم .. دم
قسماً بالله لن يُغسَل هذا الدم حتى ننتقم

يزيد : (متماسكاً) كل هذا الدم لن يرعبنى
هذياناتك يسقطن بعيداً
و يعذبنكِ وحدك
و نداءاتك لا يبلغن أذنى
(استقر الآن على عرشه و تشبث به تماماً)
إيه .. فلتصرخن أيضاً ..

زينب : ليس بالدمع و لا بالزفرة الحرى .. يلين الصخر .. فالصخر أصم

يزيد : (ضاحكاً فى وحشية و هو يتأمل النساء)

(شفيتُ منك النفس يا حسين) (1)

(صوت غراب يصيح من الخارج)

رجل الحاشية : هذا غراب يصيح
نذير شؤم قبيح

أغرب غراب البين

يزيد : (صاح الغراب فقلتُ صِح أو لا تـَصِح)
(فلقد قضيتُ من النبىّ ديونى)

زينب : (لسكينة) يا للشقىّ الفاجر الملعون !

يزيد : (ليت أشياخى ببدر شهدوا)
ليت جدى قد شهد !

زينب : إنهم فى النار أشياخك من كفار بدر
و على رأسهم الجدة هند
جيدها شُدَّ بحبلٍ من مسد
حيث يُسقى بشراب من حميم ..
فمها ذاك الذى لاك الكبد !

يزيد : (لعبتْ هاشمُ بالمُلكِ .. فلا)
(خبرٌ جاء و لا وحى نزل)
(قد عدلنا ميل بدرٍ فاعتدَل)
(قد أخذنا الثأر منكم يا حسين)

(تنقلت زينب فتمسك بمصراعىّ الشرفة و تنظر فى السماء)

زينب : (صارخة) يا جداه قد مات أخى الساعة
يا جداه إنى اليوم ناعية إليك أخى فلا تحزن

يزيد : مَن الغالب منذ اليوم يا زينب ؟

زينب : إذا قمتَ إلى المسجد فى يومٍ فأذَّنتَ
و صليتَ على جدى و سلـَّمتَ
ستعرف أينا الغالب !
فإن لم تعرف الغالب يا هذا
فمَن ذا يُسمِع الصُم ؟

يزيد : إيه يا أخت الحسين بن على
إيه يا بنت على
رحم الله ابن ملجم

زينب : رحم الله أبى لا قاتليه
رحم الله أخى لا ذابحيه

سكينة : أى ثأرٍ لكم عند رسول الله حتى لتسوقنا ضحايا فوق أقتاب الجِمال ؟
أوَ ما يكفيكم قتل الرجال !؟

(رجل من الحاشية يتأمل النساء فيتوقف عند سكينة)

رجل الحاشية : آه ما أحلاكِ .. ما أطيب ريحك !!

زينب : غـُض عنا الطرف يا هذا فلسنا بالسبايا

رجل الحاشية : (ليزيد مشيراً إلى سكينة)
فلتهب لى هذه و لك الشكر عليها يا أميرى ..
إنها خير العطايا

سكينة : (تتشبث بعمتها مذعورة)
يا عمتاه .. أمَا مِن حِمَى ..
أمَا مِن ولى ؟
أتغدو سبايا بنات النبى
أأصبح جارية أستباح أباع و أشترى كأنى سلب ؟

زينب : (تحتضنها بحنان) بل لا تبالى ..
فهذا لعَمْر أبى لن يكون ..

سكينة : لا بل سيفعلها إن أراد
فلا شئ يردعه إن فعل !

رجل الحاشية : يا سيدى يا يزيد المكارم
إنى أعيد عليك الطلب
ألا تعطنيها جزاءً وفاقاً على طاعتى

سكينة : (مروعة) يا عمتى !

زينب : لا تبالى .. إن هذا لن يكون
لا تبالى يا سكينة !

يزيد : لو أردناه أردناه لكان ..
لو أردنا لفعلنا ما نريد !

زينب : (خائفة) بعض هذا يا يزيد

يزيد : ليس من شئ و قد أبطلت أحدوثتكم يعصى على ،
(متوعداً) إيه يا بنت علىّ ..

زينب : بل لا تجرؤ أن تفعلها يا ابن معاوية أبداً .

يزيد : أأخافكِ أنتِ (يضحك)

زينب : (تكمل) إلا أن تخرج من ملتنا

يزيد : بل خرج أبوكِ و خرج أخوكِ و مَن تبعه !

زينب : بدين أخى و بدين أبى و جدى هدى أبوك قديماً

يزيد : (يشهر سيفه) يا بنت عدو الله كذبتِ !

(تُسَل سيوف أخرى و تـُشرَع رماح و تتجه لزينب)

زينب : أنت أمير متسلط
تقهر غيرك بالسلطان و تشتمهم مظلومين
و تضرب فى وديان الظلم و تتخبط

رجل : ما لنا نحن و هذا يا أمير المؤمنين
فلتهبها لى هبها لى . و دعنى أتصرف

يزيد : (ضيقاً) فليهبك الله حتفاً قاضياً

رجل الحاشية : (ببلادة) و لماذا ؟ فلتهبنى الجارية

يزيد : إيه يا شر رجال الحاشية
ابتعِد عنى وُهِبتَ الغاشية
(للحراس) اسحبوه و اسجنوه
إنه أسمعنا ما لا نحب ..
إنه يُحدِث فى الإسلام صدعاً ليس يُرأب ..

رجل الحاشية : (و بعض الرجال يسوقونه إلى الخارج) :
أنا مالى أنا و الإسلام كى أُحدِث فيه ؟
إنما يُحدِث فيه عارفوه
مثلكم أنتم و مولاى يزيد

يزيد : (صارخاً) أقتلوه

رجل : بالعسل ؟

يزيد : بل برمح أو بسيف
و أذيعوا أننى عاقبته شر عقاب
لتعديه على حرمة أبناء النبى !

زينب : (هامسة لسكينة)
إنها دولة بهتان و تلفيق و زيف .. !

شمر : (يتقدم إلى يزيد مختالاً)
(املأ ركابى فضة و ذهبا)
(إنى ذبحتُ السيد المهذبا)
(قتلتُ خير الناس أماً و أباً)
(و أكرم الناس جميعاً حسباً)
(طعنته بالرمح حتى انقلبا)
(ذبحته بالسيف ذبحاً عجبا)

يزيد : فيم إذن قتلته و قد علمتَ أنه كما تقول نسباً ؟
أترى تمدحه عندى و ترجو بعدها جائزتى ؟

شمر : أأنا أمدحه ؟ تا لله ما أمدح إلا فعلتى !!

يزيد : ليس عندى لك من جائزة
بعدما أسمعتنى مدحك له
قسماً بالله لولا رأسه تشفع فيما قلته الآن ..
لألحقناك به
امضِ عنى .. عد إلى الكوفة عُد لابن زياد
فلتبلغه أن يُحسِن تأديب رجاله

شمر : سيدى

يزيد : (مستمراً) ثم تقديرى و شكرى

(يخرج شمر من اليسار مسرعاً)

سكينة : (لنفسها) هكذا يا أبتِ ..

يزيد : (لسكينة) إنه نازعنا سلطاتنا
فجزاه الله عنا ما استحق

زينب : هو عبد صالح قد ردَّه الله إليه

سكينة : أيها السلطان لا تفرح بقتله

يزيد : (كأنه يخطب فى الحاضرين)
الحسين بن على آثم عاصٍ تولى عن إمامه
و لقد عاقبه الله بقتله
هكذا عوقب من قبل أبوه إذ قـُتِـل !
و لقد ساق لنا الله بناته
إن هذا لجزاء الله له ..

زينب : (متحدية تقتحم حصار الحرس و تنحى الرماح و السيوف) :
أظننتَ أنك قد أخذتَ عليه أقطار السماء ؟
أظننتَ أن بنا على الله الهوان ؟
أظننتَ أنك أنت محظوظ لديه ؟
أظننتَ أن الله آثركم علينا ؟
عجباً لغفلتك الزرية يا يزيد !!

يزيد : لا تكملى .. فأنا أمير المؤمنين
(يتشبث بعرشه فى صبيانية)

زينب : (مسترسلة) و نظرتَ فى عِطفيك مسروراً إذ اتسقت أمورك يا يزيد
أصفا لك المُلك العظيم فأنت تثخن فى البلاد
تشب نيران العداوة فى الصدور ؟
و النار تسأل دائماً هل مِن مزيد !؟
(يزيد يترك العرش و يمشى فى عصبية)
مهلاً فقد أعمتك غاشية الغرور
أمِن العدالة يا بنى الطلقاء أن تزجى الحرائر كالسبايا ؟
لكن متى تـُرجَى العدالة منك أنت و قد نبتَ من الخطايا
و نشأتَ فى حِجْر الضراوة حِجْر آكلة الكبد ؟
و سقيتَ لحمك من دماء الأبرياء
و نفختَ صدرك مِن زفير منافقيك فصرتَ تحسب كِبرك المرذول عِزة
أنت الذى غذوه فى مهد الصِبا أشلاء حموة !
و اليوم تهتف داعياً أشياخكم كفار بدر ؟
اليوم تذكر ثأر بدر ؟!
أوَ ما كفاكم ما فعلتم فى أُحُد ؟!
أسلمتم لله وجهكم و فى القلب الضغينة و الحسد !
يا ليت أنك قد شُلِلتَ و قد بكمتَ
و ما نطقتَ بما نطقتَ !
فليذهب الكفار كلهم إلى نار الجحيم !!
يا رب لا تترك عليها ظالماً أو غادراً أو خائناً
حتى يحل به انتقامك
يا رب عامِلهم بعدلك لا بواسع رحمتك
أنا ذا دعوتُ الواحد القهار و الجبار .. لا أدعو العفو و لا الرحيم

(يزيد الذى كان يذرع المكان عصبياً ينحط على العرش)

يزيد : فلتسكتى .. قسماً بهذا العرش إن لم تسكتى ..

زينب : (متحدية) كِدْ ما تشاء و ناصِب الحق العَداء فإن للمظلوم صولة
اجمع فجمعك للبدد
و استكثروا الأيام ما أيامكم إلا عدد
بل لن تقوم لصانعى الظلمات دولة
و لسوف يبقى ذكرنا

و لسوف يخلد وحينا

يزيد : قسماً بهذا العرش إن لم تسكتى ..

زينب : (مقاطعة) مهما تكن فأنا و رب العرش مزرية بقدرك
أسفاه حزب الله مقتول و حزب الشر يحكم
أفواههم مُتـَحَلـِّبات من لحوم الأنبياء
أيديهم متخضبات من دماء الأتقياء
أسفاه .. ها أنذا أمامك
هان الزمان بنا فصرتُ أخاطبك !
جرَّت علينا النائبات السود أن نلقَى الرجال مهتكات
يحدو بنا الأعداء من بلد إلى بلد كأسراب الإماء !!
أسفاه و الجثث العوالى الطاهرات
تشردت فوق الصخور بلا قبور ..
(تنهار أخيراً) ماذا أقول ؟
و كل دمع الأرض لا يقوى على إطفاء ما تجد الصدور

يزيد : (متماسكاً ضاحكاً) (يا صيحة تحمد من نوائح ما أكثر النوح على النوائح)

زينب : (منتفضة) قسماً بمَن شرع القصاص
لتستقيم به الحياة
لأثأرن .. و أثأرن

يزيد : (يضحك بسخرية فينفلت إليه غلام من بين النساء و هو زين العابدين)
بديع .. بديع !!

زين العابدين : أتضحك سخرية بالدموع ؟

يزيد : و مَن أنتَ أيضاً ؟ ألم يقتلوا كل آل الحسين ؟

رجل : و لكن هذا غلام مريض

زين العابدين : فأنت إذن جاهلٌ مَن أنا ؟
أنا ابن الصفا
أنا ابن الذى جاءكم بالهدى ..
أنا ابن القتيل أنا ابن الشهيد
أنا ابن المعذب حتى قضى
أنا ابن الذى حرموه المياه
و قد كان من قبل يسقى الورى
أنا ابن الشفيع أنا ابن محمد المصطفى
أنا ابن الذى رفعوا رأسه
و طافوا به فوق سِن القنا
أنا مَن تسربل ثوب الأسى

(زوجة يزيد تدخل من اليمين مندفعة ناشرة شعرها حاسرة كنساء الحسين)

زوجة يزيد : يا يزيد لستَ زوجى يا يزيد
لستَ لى بعد بزوج

يزيد : (خائفاً) زوجتى ماذا دهاكِ ؟
لِمَ تأتين إلينا حاسرة ؟

الزوجة : فبنات المصطفى صرن حواسر
أوَ ما تشعر بالحزن لهن ؟
ما لنا نحن و أبناء النبى ؟
ما جلسنا فوق هذا العرش إلا بهُداه .. !
كيف بالله إذن تلقى رسول الله يوم الحشر يا قاتل أهله ؟
أنا لن أمكث عندك !
أنا لن أُبقِى أولادى عندك
أنت يا قاتل أبناء النبى ..
أى فخر لك فى قتل الحسين بن على ؟

يزيد : (مذعوراً) أى رعديد جبان خائن لى
قال هذا لكِ عنى ؟!
(يترك العرش و يسرع إلى زوجته)

الزوجة : حيثما أسلك فى القصر أرى هذا الدم الحر الزكى

زينب : هو ذا من فوق رأسك
التفت ! إن الدم المسفوك غطى مرفقك
هو ذا حولك كالطوفان قد أغرق قصرك ..
نحن لن ننجو من ثأر الحسين بن على
هو ثأر الله فينا يا شقى !
لعن الله الدعى ابن الدعى

(ينهار على أقدام عرشه)

الزوجة : هكذا نحمل عار ابن زياد آخِر الدهر إذن ؟

سكينة : (باكية) أى عار ؟ أى عار !؟
إنه يختال أن أصبح من أملاكه رأس الحسين

زينب : كبغىٍّ أُهديت رأس نبى !

يزيد : (منهاراً) كلكم يزعم هذا .. فلماذا ؟
أنا لم أقتل حسيناً

الزوجة : أيها الكذاب إن تكذب على الناس جميعاً
فأنا لن يدخل الكذب علىّ ..

يزيد : (و هو لا يواجه أحداً) أنا ما قلتُ لهم أن يقتلوه
لعن الله ابن سعد و الدعى ابن الدعى
إنما قلتُ لهم أن يأخذوا البيعة منه
فإذا لم يعطها فليرسلوه
هكذا قلتُ لعمال العراقين جميعاً
مثلما قلتُ لعمال الحجاز ..
(يزيد يحاول أن يزحف إلى عرشه و لكن زوجته تلاحقه باتهام)

الزوجة : أُشهـِد الله عليه .. هو يكذب !
ملك يملك ما شاء و يكذب !
مستبد خائر يفعل ما شاء و يهرب
(ثم تواجهه و هو يزحف إلى العرش)
أفتدرى أيها الكذاب ما يجرى هناك ؟!
(برعب خافت) خطفوا رأس الحسين ..
(صارخة) اختفى رأس الحسين ؟
أنا لن أبقى معك
فسأنجو بعيالى من مصيرك (تهرب بسرعة من باب اليمين)

يزيد : (فى ذعر) سرقوا رأس الحسين ؟
(يحاول أن ينحط على العرش)

زينب : بم سرَتْ تسبح فوق الليل مثل الكرة المشتعلة
إنها طارت على متن سحابة
ترسل الأنوار للباكين و النار لمن لم يبكِ له
هى ذى رأس الحسين .. أنظر .. تأمل
(كأنها تخاطب الفراغ) إيه يا رأس أخى
إيه يا رأس الشهيد ..
إيه يا رأس البطل
إيه يا رأس شهيد الحق كونى راية المستضعفين
(صارخة من الشرفة التى تطل على دمشق)
انهضوا كى تنقذوا الدنيا من الفوضى .. انهضوا
فكفانا ما احتملنا
و كفى ذلاً و إذعاناً و جبناً !
هى ذى راية حق دامية
هى ذى شعلة عدل خابية
هو ذا الرعب و قد أصبح سلطاناً رعاياه قلوب الخائفين
هى ذى الآمال صرعى .. هو ذا الفجر طعين
انهضوا فاستخلصوا العالم من بطش الجنون

يزيد : (فى فزع شديد يتخبط محاولاً أن يهرب)
أيها الحراس .. سيروا فتشوا كل مكان
فلتعودوا لى برأس ابن على
لا تسيروا كلكم (بفزع) لا تتركونى ..
بل أحيطوا بى .. أحرسونى ..

زينب : أين تمضى أيها السلطان من عارك ؟ لا مهرب لك !
إن طوفان دم الأبرار حولك
و عليه جثث القتلى تمور
إنها تطلب ثأر الله منك
قسماً بالله أن أثأر منك

يزيد : (مندفعاً إلى الخارج متخبطاً بين باب اليسار و باب اليمين و حوله رجاله)
أسكِتوها .. أرجِعوا رأس الحسين

زينب : (تتبعه) و سيأتى الموت فى يوم من الأيام مهما يطل العيش بمثلك
عبثاً تهرب من ساعة موتك !
هو ذا الموت وراءك !!

يزيد : أخرسوها .. أخرسوها ..
(يداه على رأسه) و احذرى أن تذكرى الموت أمامى

زينب : عبثاً تهرب من يوم القصاص
إننى أسمع خلف الليل صيحات الخلاص

يزيد : أرجعوهن إلى الكوفة كى يجمعن أشلاء الحسين
أبعدوهن إلى أى مكان حيث لا يبلغنى بعد صدى أصواتهن
(يخرج من باب اليمين) احملوهن بعيداً .. يا كلاب ..

زينب : (تتأمل الحرس و الرجال الباقين)
عجباً للناس فى حبهم الدنيا يهونون
و ما دنياهم دار خلود !
و هم فى آخِر الأمر رجام فى التراب
حيث ما للخوف سلطان على ما يصنعونه
حيث لا شئ سوى ظل السكينة !
حيث لا الأطماع تحنى بعد هامات رجال خائرين
إنما الموت هو الحرية الكبرى لو أن الناس كانوا يفقهون
حيث لا شئ سوى الأمن لدى الله لمن جاء بقلب مطمئن
حيث لا مضحكة الدولة تزرى بجلال الحكماء
حيث لا رأس ولى أو نبى بعد تهدى لبغى
أو حظايا العرش يهدرن جلال الشرفاء الصامدين
أو نديم القصر يقتات بلحم الأتقياء الصالحين
حيث يحيا القلب فوق الحقد و الحب و فوق الكبرياء

أمِن الخنجر و السم و غدر الأصدقاء !

(يتدافع الرجال و النساء منشورات الشعور و الكل يلطم على صدره)

الرجال و النساء : لا تطلبوا رأس الحسين بشرق أرض أو بغرب
بشرق أرض أو بغرب
فالرأس مثواه بقلبى ..
رأس الحسين هنا بقلبى
فلتأخذوا ثار الحسين ..
يالثأرات الحسين

الرجال : ثأر الله
ثأر الله
الله .. الله ..

---

(1) الأبيات التى بين الأقواس منسوبة إلى قائليها فى كثير من المصادر التاريخية .

المنظر السادس

(صحراء محرقة تتوهج فيها الشمس الغاربة كتلك الصحراء التى عطش فيها و مات الحسين بكربلاء .. بعد نحو خمسة أعوام من المنظر السابق . يزيد - و قد أصبح أكثر شحوباً - يبحث فى المكان و ينتقل بين منخفضاته و مرتفعاته فى حيرة و فزع يتزايدان)

يزيد : أين قردى ؟؟ أين فهدى !!؟
أين أصحابى ؟ و الفهـَّاد و القرَّاد ؟؟ أين ؟
إننى قلتُ لهم أن يتركونى
أنا و الفهد و قردى من وراء الظبيات
و استبقنا ساعتين
لم أصِد شيئاً و ضاع القرد و الفهد معاً
كان قردى ابن قبيس راكباً فوق حمار
سبق الخيل جميعاً !!
(يصيح من على ربوة) يا رجالى أين أنتم ؟ أدركونى ..
يا إلهى ! ليس من شئ سوى رجع الصدى فى الفلوات
إنهم لن يسمعونى
كلهم ضل الطريق !!
أنا من أى طريق قد أتيت ؟!
مِن هنا ؟ .. لا .. مِن هنالك ؟
ليس من شئ هنا غير صخور و رمال
هنا هنا فى صحراء الشام لا ماء و لا ظل .. و لا حتى خيال
آه .. لا ماء هنا .. بل محيط من رمال !!
(يحاول أن يشرب من آنية معلقة بثيابه و لكنه يقذف بها إلى ما وراء المرتفع)
نفذ الخمر كذلك ..
أنا عطشان .. و فى جوفى و فى حلقى حريق
أفما من قطرة أروى بها هذا الغليل ؟
أين منى الماء و الريحان و الخمرة و الظل الظليل !!
(يحاول أن يستلقى تحت صخرة)
فلأقم فى ظل هذا الصخر حتى يقبلوا ..
(يتلفت) إنهم لن يُقبلوا !
ويحهم .. أين الظلال ؟
(يقف فى ضيق) صحراء رحلت منها الظلال !!
(يفتش فى المكان) أين أفراسى ؟ لقد كانت هناك !
إننى خلفتها غير بعيد ترتعى تحت الأراك
(صارخاً) هو ذا ماء بعيد فى الأفق !
و الحقول الخضر و الأنسام من تحت السحاب ..
هو ذا ظل بعيد (يجرى ثم يسقط)

لا .. تمهل يا يزيد
ليس هذا كله غير السراب
لم يعد شئ هنا غير الصدى
ثم وَقـْد الشمس و الوحدة فى هذا العراء ..
لم يعد شئ هنا غير العذاب
رحل الكل و لا شئ سوى الغربة و التيه و أهوال العطش ..
(يكاد ينبش الأرض)
يا حسين ابن على كيف بالله تحملتَ العطش ؟
أترى كابدتَ مثلى من أهاويل السراب
إنه مس الجنون !
(صارخاً)
جف حلقى .. يا إلهى
(يقف صارخاً) أوَ ما من فرسٍ ينقذنى من وحدتى
أوَ لا قطرة ماء فأروِّى غلتى
(ينهار مرتمياً على الأرض)

صدى صوت زينب : أين تمضى أيها السلطان من عارك .. لا مهرب لك
إن طوفان دم الأبرار حولك ..
و ستغدو فى عراء فتحت أفواهها فيه القبور
و مشى قتلاك نحوك
هى ذى رأس حسين تصفعك

(يتراءى له أنه يرى خيال الحسين فى هالة من تلك الأضواء التى نراها فى الأحلام فى ثياب بيض و وجه وضاء جليل ، كما يُتخيل أهل الجنة .. الخيال يقف على أعلى مرتفع و يتحدث فى حوار مع يزيد بصوت محايد عميق و بلا انفعال)

يزيد : العطش ؟ يا إلهى كدتُ أقضى فى العطش

الحسين : نحن أيضاً قد هلكنا عطشاً ..

يزيد : (يفزع إليه) مَن هنا ؟ .. مَن أنت ؟ ..
هل عندك ماء .. ؟

الحسين : ما أنا إلا خيال للحسين بن على

يزيد : (مذهولاً) الحسين بن على ؟
آه كم عانيتُ من نار العطش
كيف بالله تغلبتَ على حر العطش ؟
(ثم صارخاً بفزع هائلاً)
كيف ؟ .. لا .. لا ..
أنت من خمسة أعوام ذُبـحتَ
إننى علقتُ فى الأسواق رأسك
مستحيل .. ليس أنت ..

(باكياً) إننى فى ظمأى أهذى .. فوا ويلاه
إنى قد جُننتُ ..

الحسين : إن مثلى يا يزيد لا يموت
رُبَّ ماضٍ لا يفوت

يزيد : (يدور فى التيه مروعاً)
قامت الأشباح فى أكفانها يقذفن فوقى اللعنات
و ضحاياى جميعاً قد رمتهن القبور
أقضانى أنتم ؟
مَن ذاك أيضاً ؟ مَن هناك ؟
(تختلط أمامه الرؤى)

الحسين : إنهم حقاً ضحاياك .. و لكن هم صحابك !
أفتدرى ما الذى حل بصحابك إذ أنت هنا
تلهو بقرد و فهد و حمار

يزيد : (صائحاً) فليموتوا كلهم
(ضارعاً) قطرة ماء
فرساً أنجو به مما أعانى

الحسين : أنت لن تنجو من رحلة صيدك
قف .. تأمل .. أفلا تعرف هذا ؟

(على مرتفع آخر يبدو عمر بن سعد شاحباً أمام المختار فى ضوء غريب خافت محدد .. كأنه نوع من ضوء الأحلام)

يزيد : إن هذا عُمَر مَن أعطشك ؟
إنه مَن قتلك
إنه مِن أقربائك
(ضارعاً) اسقنى ماء و دعنى

(يقوى الضوء على المختار و أمامه عمر ذليلاً)

عمر : (للمختار) فماذا أنت بى صانع ؟

المختار : أوُلـِّيتَ على الرى و جرجان ؟

عمر : لا .. بل ذقتُ ذل العيش ألواناً

المختار : (ضاحكاً) فأنتَ قتلتَ خير الناس مجاناً !!

عمر : يا مختار ليس الآن وقت الهزل

المختار : لا تعجل ، و لا تستعجل القتل
بأية ميتة بُشــِّرتَ مِن قبل !؟

عمر : بأن أُذبَح فى فرشى ؟
و تـُلقـَى الرأسُ للصبيان فى الكوفة

المختار : إذن فاذهب إلى فرشك !

عمر : (ذليلاً جداً) يا توَّاب قد تبتُ على ما كان
فلترحم .. ألا تغفر ؟

المختار : بل الغفران و الرحمة للرحمن يا كافر

عمر : أنا تبتُ إلى الله

المختار : تتوب الآن يا هذا و أنتَ عصيتَ مِن قبل ؟
و ثأر إمامنا المقتول عطشاناً ؟
و مسلم و هو ذو قرباك يا غادر ؟

يزيد : أيُقتــَل هكذا عمر ؟
فأين إذن رجال المصر ؟
أين أميره ابن زياد ؟

رجل : (مقبلاً فرحاً للمختار)
قتلنا الباطش ابن زياد يا مختار

المختار : (كأنه ينادى)
طوفوا برأس ابن الدعي بكل أنحاء العراق و أرسلوه إلى دمشق
كى يعلم المغرور و الغدَّار و المتكبر العربيد إن الله حق

رجل : (للمختار) قتلنا شمراً الضارى
و قد طفنا برأس الفاجر الملعون من دار إلى دار
(يختفى المختار و من معه ..)

(رجل كان من جيش عمر يرفع إناء ليشرب ماء و لكن الماء يسيل على فمه و ما زال يشرب و الماء يسيل)

الرجل : يا ويلاه .. يا ويلى ..

يزيد : و ما هذا الفتى يشرب ما يشرب لا يروى
و فوه يلفظ الماء ؟

الحسين : هذا أعطش النسوة و الأطفال إذ كان على الماء ..
فلن يُروَى مدى الدهر ..
سيهلك هكذا عطشاً

(يختفى الرجل و تعود الشمس الغاربة تغمر المكان بوهجها مختلطة بعتمة المساء و الحسين فى هالة من ضوء الأحلام على مرتفع وحده)

يزيد : (صارخاً و هو يذرع التيه)
يا للرجال تقدموا كى تنقذونى
أنا ذا هنا الملك العظيم
أنا ذا يزيد
أنا ذا أميركم .. أمير المؤمنين

الحسين : لن ينقذوك .. هو الجحيم
لن يدركوك فلا فكاك و لا محيص عن الجحيم

يزيد : (صارخاً) أنا ذا هلكتُ من العطش
(ضارعاً) عطشان .. يا للمؤمنين
(يصرخ و يدور) أنا ذا أجن من العطش
أفلا سبيل هنا لماء

الحسين : لا يا يزيد فما شرابك بعد إلا من حميم

يزيد : عطشان أهلك فى الصحارى الموحشة
النار فى كبدى سعير
أنا ذا الأمير و لى من الأنهار آلاف فكيف إذن أموت من العطش
أأموت عطشاناً و عندى النيل كله ؟
و لى الفرات و ماء دجلة
و هنا .. هنا بَرَدَى فكيف إذن أموت من العطش ؟
كأساً به ماء بعرشى كله !!
يا من يبيع لظامئٍ كأساً بعرش !!
يا أيها الساقون : كأساً واحداً بالمملكة !!
(و يظل يدور و يدور فى التيه فى حالة جنون)
فرساً فينجينى و يحملنى إلى غرف النعيم
فرساً بمملكتى جميعاً
(يتهاوى) كأساً فينجينى
و لكن كيف لى أن أدركه
(يسقط خلف أحد الصخور .. بينما ترتفع نداءات من بعيد .. و يدخل رجال يملأون المكان و على رأسهم المختار و الحسين يقف على الربوة مُشرفاً عليهم فى جلال وسط هالة الضوء الغريب)

الرجال : يالثارات الحسين .. يالثارات الحسين بن على

المختار : قد أخذنا فيه ثأر الله من كل الطغاة
نحن لن ننسى الحسين بن على

الرجال : يالثارات الحسين
يالثأر الله .. يا ثأر الحسين ..

المختار : (للرجال) أذكروا الله كثيراً
و أذكروا ثأر الحسين
فهو ثأر الله فينا ..

الحسين : فلتذكرونى لا بسفككم دماء الآخرين
بل فأذكرونى بانتشال الحق من ظفر الضلال
بل فأذكرونى بالنضال على الطريق
لكى يسود العدل فيما بينكم
فلتذكرونى بالنضال
فلتذكرونى عندما تغدو الحقيقة وحدها
حيرى حزينة
فإذا بأسوار المدينة لا تصون حمى المدينة
لكنها تحمى الأمير و أهله و التابعينه
فلتذكرونى عندما تجد الفضائل نفسها
أضحت غريبة
و إذا الرذائل أصبحت هى وحدها الفضلى الحبيبة
و إذا حُكِمتم من قصور الغانيات
و من مقاصير الجوارى
و إذا غدا أمراؤكم كالمحظيات
و إن تحكمت السرارى
فأذكرونى
فلتذكرونى حين تختلط الشجاعة بالحماقة
و إذا المنافع و المكاسب صرن ميزان الصداقة
و إذا غدا النبل الأبىّ هو البلاهة
و بلاغة الفصحاء تقهرها الفهاهة
و الحق فى الأسمال مشلول الخطى حذر السيوف !
فلتذكرونى حين يختلط المزيف بالشريف
فلتذكرونى حين تشتبه الحقيقة بالخيال
و إذا غدا جُبن الخنوع علامة الرجل الحصيف
و إذا غدا البهتان و التزييف و الكذب المجلجل هن آيات النجاح
فلتذكرونى فى الدموع
فلتذكرونى حين يستقوى الرضيع
فلتذكرونى حين تغشى الدينَ صيحاتُ البطون
و إذا تحكم فاسقوكم فى مصير المؤمنين
و إذا اختفى صدح البلابل فى حياتكم ليرتفع النباح
و إذا طغى قرع الكئوس على النواح
و تلجلج الحق الصراح

فلتذكرونى
و إذا النفير الرائع العزَّاف أطلق فى المراعى الخضر صيحات العداء
و إذا اختفى نغم الإخاء
و إذا شكا الفقراء و اكتظت جيوب الأغنياء
فلتذكرونى
فلتذكرونى عندما يُفتِى الجهول
و حين يستخزى العليم
و عندما يهن الحكيم
و حين يستعلى الذليل
و إذا تبقى فوق مائدة امرئ ما لا يريد من الطعام
و إذا اللسان أذاع ما يأبى الضمير من الكلام
فلتذكرونى
فلتذكرونى إن رأيتم حاكميكم يكذبون
و يغدرون و يفتكون
و الأقوياء ينافقون
و القائمين على مصالحكم يهابون القوىّ
و لا يراعون الضعيف
و الصامدين من الرجال غدوا كأشباه الرجال
و إذا انحنى الرجل الأبىّ
و إذا رأيتم فاضلاً منكم يؤاخذ عند حاكمكم بقوله
و إذا خشيتم أن يقول الحق منكم واحد فى صحبه أو بين أهله
فلتذكرونى
و إذا غـُزيتم فى بلادكم و أنتم تنظرون
و إذا اطمأن الغاصبون بأرضكم و شبابكم يتماجنون
فلتذكرونى
فلتذكرونى عند هذا كله و لتنهضوا باسم الحياة
كى ترفعوا علم الحقيقة و العدالة
فلتذكروا ثأرى العظيم لتأخذوه من الطغاة
و بذاك تنتصر الحياة
فإذا سكتم بعد ذاك على الخديعة و ارتضى الإنسان ذله
فأنا سأُذبَح من جديد
و أظل أُقتـَل من جديد
و أظل أقتل كل يوم ألف قِتلة
سأظل أقتل كلما سكت الغيور و كلما أغفا الصبور
سأظل أقتل كلما رغمت أنوف فى المذلة
و يظل يحكمكم يزيدٌ ما .. و يفعل ما يريد
و ولاته يستعبدونكم و هم شر العبيد
و يظل يلعنكم و إن طال المدى جرح الشهيد
لأنكم لم تدركوا ثار الشهيد
فأدركوا ثأر الشهيد ،،

القاهرة : ذو الحجة سنة 1388
فبراير سنــة 1969